

## تصدير

اهتمت هذه الزاوية من مجلة قصص ( زاوية تصدير ) عديد المرات بقضايا الكتاب الثقافي ، والنشر ، والتوزيع ، وصندوق التعويض ، والمنظورية الى الثقافة والانتاج الثقافي . وقد اثرنا ذلك من جديد في العدد ( 48 ) من هذه المجلة بمناسبة التطلعات التي ظهرت - إذذاك - الى المجلس الوطني للنشر . وكانت خاتمة تلك الاثارة هذه السطور :

« .. فهل اذا كتب للمجلس الاعلى للنشر الظهور الفعلي ، وقدم المقترحات والخطوط العامة لازالة العراقيل والحواجز ، بجهد الاذن الصاغية ، والفكر المقتنع ، والموقف العملي ؟! كم نرجو ذلك ! وكم نرجو ألا يكون هذا التساؤل في مال التساؤلات السابقة التي تذكر - عندما تذكر - بالحسرة والمرارة . فمتى تحصل بجانبهما اللذة والخلاوة .. » (1)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ونحن لا نذيع سرا اذا قلنا : إن التطلع الى تحقيق تلك الآمال ازداد اكثر بتولى الوزارة الاولى الاستاذ محمد مزالي باعتباره مفكرا واديبا اولاً ، وباعتباره مارس النشر والتأليف ثانياً ، وباعتباره الرئيس المؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين ثالثاً . وكفى ذكر هذه الاقنيم الثلاث مبررا لازدياد تلك التطلعات. ثم كان التاسع عشر من شهر نوفمبر 1980 بداية الاعلان عن الخطوات العملية عندما انعقد مجلس النشر المذكور برئاسة الوزير الاول الاستاذ محمد مزالي واعلن فيه عزم الحكومة على اتخاذ إجراءات جديدة لتجعل من الكتاب

---

(1) « قصص » أبريل 1980 .

الثقافي صناعة لها مردود وحركة في الدورة الاقتصادية العامة في البلاد إضافة الى مردوده الروحي الذي قد لا يقع عليه نظر الكثير من الناس لا سيما رجال الممارسات الصناعية والاقتصادية والمالية . ولم يقف الامر عند ذلك الحد فاعلن عن ذلك بصفة اكثر رسمية وشرعية عند عرض ميزانية 1981 على مجلة الامة .

ومما لا شك فيه ان تلك الاجراءات عندما تدخل حيز التنفيذ وتدعمها الاوامر والقرارات التطبيقية سوف تؤتي اكلها وتأتي بنتائجها . وإننا لموقنون ان تلك الاجراءات ستحقق الكثير مما دعونا اليه في هذه الزاوية من مجلة « قصص » كما نؤمل منها حفظ حقوق المؤلف وكرامته وصيانتة من أي شيء يثيرهما أو يحدث غما . لا على أساس انه صاحب حق فقط بل على أساس أن عليه واجبا كذلك . ولهذا فنحن نشد بقوة على يد الاخ الاستاذ البشير بن سلامة عندما قال في افتتاحية الفكر :

« .. كما اننا نعتقد أنه بدون حماس رجال الثقافة أنفسهم وتفانيهم وجدهم وإخلاصهم لا يمكن أن نصل إلى ما نصبو إليه في هذا القطاع .. » (2) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« قصص »

---

(2) مجلة « الفكر » جانفي 1981 .

## جرح فى الجبين

وجهه الصغير فى المرأة يطل من ورائى .. يتسم .. رغبة الصابون تكسو  
وجهى .. آلة الخلاقة ترتفع الى صدغى ، تنفّس فى الرغبة ، تجرف العشب  
الاسود ..

عيناه الصغيرتان تمسحان وجهى .. تداعبان شعر رأسى .. أبتسم له ،  
فيقترب منى .. وأخشى أن يمسنى ، فيمتد عنى ، ويسألنى :

– ما قصة هذا الجرح فى جبينك يا أبى ؟!

.. تتوقف آلة الخلاقة عن الزحف .. يمتص العشب رغبة الصابون ..  
يكبر .. ألتفت إليه ، وأمره بالانصراف ريثما أنتهى ..، فينصرف . واختل  
بوجهى فى المرأة ...!

الندبة السوداء تبدأ رحلتها فوق حاجبى الأيسر ، وتتوقف فوق حاجبى  
الأيمن ... ! :

« .. ما أتعس أن ينسى المرء وجهه .. ! »

قلتها فى نفسى والجرح بجبينى يتحرك .. ينفّث .. ينزف دما ، يسيل فى  
المرأة .. يرسم أرقاما ... يرسم الزمن الذى شوه وجهى ..!

الأرقام فى المرأة تكبر ..!

● المرأة فى الجدار شاشة كبيرة .. كبيرة .. بها أبناء بلدى ، يحطمون  
الجدران .. يصيحون .. أصبح معهم .. أهتف بحرية تونس .. بعروبتها ..  
وفلسطين تبكى .. تستنجد .. : نداءها مارد يحطم الحدود والحواجز .. صوتها  
جواد عربى ، يحملنى .. يطير بى .. يقذف بى فى جبهة القتال ..!

\*\*\*

.. سلاحى بيدى .. مع الجنود أنتظر إشارة البدء بالقتال . العدو أمامنا ،  
وجهه إلينا أسلحته ونحن ننتظر !

.. سيارة الجيب البيضاء تأمرنا بالهدوء ..! تحذرننا البدء بالقتال ..!

.. قائدنا يسبها ، يلعنها ، يلعن من أرسلها إلينا .. ويأمرنا بالاستعداد  
للبدء بالقتال . فيأتيه أمر ..! ويفيب عنا ،،، ويختفى ..!!؟!

\*\*\*

فى الشاشة وجه ، ليست له عينان .. يأمرنا :

– افتحوا عيونكم !

عيوننا مفتوحة .. الدو ينسحب ..! صاحب الوجه يأمرنا بالزحف ..  
نزحف على الفراغ .. نتوغل فى أرض فلسطين .. نمر بقرى خالية من  
السكان .. فى قرية « الصفصاف » يأمرنا صاحب الوجه بتغيير ثيابنا .  
وحفظ أسلحتنا . والركوب فى الحافلات ؛ لندخل قرية « الجشة » ونباغت  
جيوب جيش العدو المنسحب ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

\*\*\*

الحافلات تدخل بنا القرية ، فوق سطوحها صناديق بها أسلحتنا وذخيرتنا.  
فى داخلها نفنى ونرقص .. فى الخارج الرصاص ينطلق ، يفجر ذخيرتنا فوق  
رؤوسنا ، يخترق أجسادنا فى الحافلات .. من النوافذ ، والأبواب ، نلقى  
بأنفسنا .. نركض فى الساحة على غير هدى .. يسقط البعض منا .. أنبطح  
على الأرض .. أزحف على ركبتي .. والرصاص يرسم دائرة من حولى ..  
يطوقنى .. يمزق ثيابى .. يجرف التراب من تحت بطنى .. يلسع جبينى ..  
الأرض تشرب من دمي ، تقفز بى ، تدفعنى كالسهم ، والرصاص يلاحقنى ..!

.. فى خربة أختبئ .. أضمد جرحى ...

.. فى الليل أتسلل الى مواقعنا فى الحدود ...

\*\*\*



.. جنود العدو المنسحب يظهرون أمامنا .. يرفعون أسلحتهم بأيديهم ..  
يمرحون ، ويرقصون !..

.. جنودنا في مواقعهم .. يسكون بأسلحتهم .. يتفرجون !..

.. تحت ربوة أجلس وحدي .. أبحث عن صاحب ذلك الوجه !.. وجرحي  
يتعفن .. العصابة البيضاء تلتصق بجبيني .. خيوطها الدقيقة تمتزج  
بجرحي .. والشمس تمد خيوطها الذهبية على الكون .. تمسك بحبات  
الرمل ... بالعصابة في جبيني ... بأهدابي ... :

« الجرح بجبيني ينفتح .. ينبثق منه أبناء بلدي .. يتسابقون لحبال  
الشمس .. يتعلقون بها .. يصنعون من ذراتها مركبة تهفو لها نفسى !..  
وتمتد يداى للحاق بهم ؛ فتحجب الفيوم الشمس . وينغلق الجرح ! »

.. الربوة تجذبني الى الورا .. تسحب بي .. تباعد .. فتختفى  
مواقعنا ، ويختفى جنودنا وصاحب ذلك الوجه ، يحلق في الفضاء .. يطاردني  
بعينين فيهما أعقاب سحائري ..  
<http://Archive.be/ورماد>

\*\*\*

في الشاشة وحدي أمشي .. بخطى الشيخ أمشي .. أمر بالتلال والجبال ..  
أضيق في الصحراء .. أعانق الظلام .. أحمل فلسطين على ظهري ، وأمشي ..  
في السهل والصعب أمشي .. في بلدي يتوقف بي المشي ، ومركبة الشمس  
تنأهب للاقلاع .. يركبها الرجال والنساء .. يتعلق بها الشيوخ والأطفال ..  
أعلق بها ، والحمل فوق ظهري ، والجرح بجبيني !.. تدفعها سواعد قوية ؛  
فتقلع بنا ... تطير .. تحلق .. أنتشى !.. أمرح !.. أغتسل بنورها !..  
وإخالني ولدت من جديد ؛ ولكن بحمل يأبى أن يفارق ظهري . وجرح تأبى  
الأيام أن تزيل اثره ...!!

\*\*\*

● الشاشة الكبيرة ، مرآة صغيرة .. صغيرة .. بها وجه زوجتى ... ! :

– لقد نديت وجهك يا رجل ! أجلسيت أمام المرآة لتحلق لحيتك ، أم لتندب وجهك ؟!

وتجرف آلة الخلاقة بقية العشب الأسود فى ذقنى . وأغسل جروحي الجديدة بالماء . وأنشفها بالمنشفة .. ثم أنتزع ولدى من لهوه ، وأقص عليه قصة الجرح القديم .. فيسألنى :

– كيف أصنع مركبة من ذرات الشمس يا أبى ؟

– سوف تكبر ، وتتعلم .. يا ولدى !

– لا .. أريد الآن ..

– تصنعها الآن وحدك ؟!

– لا .. لا .. أريد أن تعلمنى الآن ..! علمنى يا أبى ..! وسوف ترى كيف أصنع مع رفاقى فى المدرسة مركبة أكبر من مركبتكم ..!

– وماذا تصنعون بها ؟  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– نحو بنرها القوى اثر هذا الجرح فى جبينك يا أبى ..!

وتشدنى عيناه الصافيتان ؛ فأرى فيهما وجهى ، والجرح بجبينى يتقلص .

**عبد العزيز فاخت**

قصة فى 29 / II / 1980

## بقايا هوى

حين يزحف الكدر الى والدى ويتفاقم ضيقه يملط شفثيه باستهانة ، ويرسل  
تنهيدة طويلة ويغمغم :

- إيه ! يا حسرة على مريم .

وحين أسأله :

- من تكون مريم يا أبى ؟ هل هى من أقربائنا ؟

يشيح بوجهه ويلتفع بالصمت .

وحين أسأل أمى ، تداعب الذكرى روحها الكثيبة وترحل عينها مع القمر  
الغارق فى أمواج الغيوم الهاربة ، تحدثنى فتقول :

- مريم يا ولدى امرأة غريبة عن هذه الديار

- وكيف ينفطر قلب والدى حسرة على فراقها ولا يثير غيرتك ؟

تضحك باستخفاف :

- أغار ؟! أين هي من أبيك حتى يشغلها وأصطلي بنار الغيرة . انها حسناء  
فاتنة يا ولدى . تتكسر على صفحات حسننها نظرات المستضعفين .

- لماذا يذكرها أبى إذن ؟ اله معها حكاية ؟

- حكايته هى حكاية كل رجال القرية .

ينساب شعاع البدر عبر الكوة يكسو همومها المخيبة بذاكرة الايام الخوالى .  
ويظل يرمق الحصير الذى ينام عليه إخوتى التسعة .

- يوم تلاشى الامل فى متاهات السام ، وتحولت وجوه الرجال الى غيمة  
لا تهطل مطرا ، وجف حلق الارض فانكسفت مفاتها ، صار الحواء ينهشنا  
فنموت فى اليوم ألف مرة ومرة .

حين تحولت القرية الى اوراق جافة تنتظر عواصف الحريف ولاحت الايام  
مكررة السمات محدودة المعالم ، وترامى الحزن على الحقول الممتعة وتعالى نوح  
الحمام على أفنان شجر الفلين ، جاءت تختال تيتها وصلفا . تزهو بأنوثتها في  
حركاتها ولفاتاتها كما يزهو الرجل القوى بقوته . وتعلقت عيوننا بالذهب  
الذى ينام على معصميه ويتطوح على صدرها . ولاحت بشائر الامل حين  
نفخت فى شرايين القرية الجامدة الحياة . ولكن سرعان ما دب اليأس فى  
النفوس . وقد كنا قبلها نعانى الجوع والذل فصرنا نعيش فى الذل فقط .

إيه يا ولدى ! رجال القرية صاروا شواهد قبور منسية تثير الوحشة  
والخوف . قيل أن يطوى الفجر ستار الظلام تبتلعهم الحقول المجاورة ، يغفرون  
وجوعهم الكالحة بثرها ويروون بعرقهم أديمها . وعندما تنسحب الشمس  
خلف قمم الجبال تتمدد الظلال على أجسادهم الواهنة وتقودهم عبر دروب  
موحشة كالجبانة الى بيوت هواجس الظلام .

كان زمنا صعدنا يا ولدى ولكننا كنا نطمح من جوع وإن كنا لا نأمن من  
خوف ، فكثيرا ما كان خدم تلك المرأة يهتكون ستر الدجى لمداومة إحدى  
الديار واختطاف رجلها للتسليم إليه .

– ألم تكن متزوجة ؟

– بلى . ولكن لم تكن هناك تلفزة فى ذلك الوقت . فكانت تجلب إليها  
بعض الرجال عنوة لينشدوها أشعارا وسيرا .

– وهل كانت تكافئه ؟

– ضربا اذا نال منه الاعياء وغلبه النعاس .

يتلملم أحد إخوتى ، يشن ، يفتح فمه :

– أمى . كسيرة .

تسوى أمى اللعاف . تهدهده :

– نم يا ولدى . إن الصبح قريب .

تعود الى مجلسها . تستعد لمواصلة الحديث . ينتصب والدى فى وجه الشعاع الذهبى المنساب فى الغرفة .

— ألا تنامان ؟

أزحف الى الحصير أبحث عن مكان بين الاجساد المترصة . أسأل أمى :

— لماذا لا ينام أبى ؟

فتهمس فى أذنى :

— لقد استوى عنده الليل والنهار .

★ ★ ★

ولكن لماذا يتحسر شيخ القرية الثرى على رحيل مريم ؟

حين أسأل أمى تلوذ بالصمت مخافة أن يقع السقف على رؤوسنا كما قالت لي يوما . وحين يسحقها السغب تهمد كل الاحاسيس الدافئة فى صدرها . فتجلسنى بجانبها وتستتر سلى :

— فى ليلة شديدة السواد ، رحلت تلك المرأة الغريبة وتطلع الرجال بحرقه المشتاق الى فجر جديد . وتمطت القرية ذات صباح تنفض بقايا النوم العالق باهدابها لتجد شيخا يسوسها .

يقولون : إنها جعلته عينها الساهرة . ويقولون : إن تلك البناية السامقة التى تؤويه والعربة الفاخرة التى تقله من عطايها .

— ولماذا اختارته دون سواء يا أمى ؟

— لأنه طبع و ... يحذق لهجة الحضر .

ويظل وجهها ينز بالقهر .

حين أتجول فى أزقة القرية الموحلة وانهجها الملتوية يلفظنى حزن المأسى الى الساحة التى ينتصب على منبرها الشيخ خطيبا . فلا أجد فى كلامه حديث

الحضر وميوعتهم وانما لهجة قوم بداء فيها صلابة صخورنا وشطف عيشنا  
واتقاد قيطاننا .

ويلوح لى الشيخ رجلا صالحا وسط فئة متجهمة الوجوه مظلمة بسحب  
الكدر . يزرع فيتلفون ويبنى فيهدمون . حتى يوم جاءت ابنة مريم تضحك  
جسدها بعبير حقولنا وتملؤ رثتيها بأنفاس ربانا الحاملة وتمتص رحيق أزهارنا  
اليانعة .

فتاة جميلة القد ، شقراء الشعر هبت على وجهها نسيمات النصح . قالوا :  
ورثت عن أمها إشراق الوجه وصفاء العينين والقد الاهيف .

رجال القرية مجتمعون أمام منبر الشيخ الذى تصدرته الفتاة الشقراء ،  
وقد ارتسمت على وجوههم الحيرة وعلائم الاستفهام .

تقدم الشيخ . رفع يده . طلب الهدوء . تنحنج . فتح فمه واستهل حديثه  
فوجم الحاضرون .

كان حديثه بلهجة نسيها القرويون لهجة البلدية .

وبينما كان الشيخ يسبح باسم مريم كان الرجال ينفضون من حوله واحدا  
تلو آخر .

**ابو بكر العيادى**

رادس فى 6 / II / 1980

## دار لقمان

● بزغت شمس النهار على غير عادتها ، كانت تبتسم ابتسامة شقراوية ، وكان الطريق كتلا من السحاب والريح العاصف ، وهو يخطو ، يتلمس بأطراف أصابع رجله بعض النتوءات الفقاعية ، وكأنه لا يحس بها تحت أصابعه ، اندفع يسير منذ بداية الصباح ويعرف بالضبط وجهته . أقصى ما هنالك أنه يحمل في قلبه بعض الإبهات المعلقة ، لا يسأل غيره عنها ، ولا يحس بالغبرة في وطنه ولو كان فقيرا ، جال ببصره في الأشياء التي يراها من حوله ، ودون أن يرد على أسئلته المحيرة من دال نفسه لاذ بالصمت .

... ما حاجتك أنت أيضا بالقرية الجبلية النائية ؟ ماذا صنعت أثناء هجرتك عنها ؟ هل تسقط الآن كل الإقنعة البائدة فتعترف بفضل قرينتك عليك ؟! حذرتك حين داهمتك الفكرة الضبابية . قلت لك : هل تستطيع أن تقفز بأحلامك هناك . والآن هل أحسست بالراحة وأنت لم تقترب من غايتك ؟

♦ ♦ ♦ ♦

... كان يحمل في قلبه غيظا كبيرا ، لقد واجه أزمته مع نفسه ، لا يملك غير الاستكانة ، وبقايا ما ظل عالقا بذمعه يوم هجر القرية والأهل والأصحاب ، وما غادرت عقله صورة رحيله عن حافة الوادي الوحيد الذي يخترق شعاب القرية ... كانت العيون شاخصة ، والشفاه يابسة ، والناس في ذهول ، وهو في شبه غيبوبة . لقد قرر الرحيل وكفى ... وغادر الأهل لا يحمل شيئا . وهو شاخص في الجبل الشامخ الشاهد قصوره ، وهروبه في حالة ضيق وهيجان ..

♦ ♦ ♦ ♦

هذه مناظر خلابة لا عهد لي بها . لقد سنمت صورة الجبل الجاثم على صدور الناس في قرينتنا الحزينة والمقبرة التي أراها صباح مساء وهي الحلم الوحيد الذي بهرني خيطة من الصبا إلى أحلام الشباب ، حتى أنني حين كنت ألعب مع أصحابي كثيرا ما أتدحرج فأسقط في قبر مفتوح وكأنه لعبة من لعب أبناء المدينة ، والمياه . لن يكتشفوها أبدا ، لقد هربت هي الأخرى عن القوم

وتركتهم فى فقرهم يقنتون ... كنت حين آتى بماء من عين تبعد بحوالى مائة فرسخ أقصى على نفسى قصة تلاحق أنفاسى ، هل تظل السماء هى السماء ؟ والربوة هى الربوة ، والجبل هو الجبل ...

للجبل الجائم على الأمل فى قرينتنا قصص مهولة ، لقد هلكت شقيقتى مع قطيع الغنم الوحيد الذى كان لدينا ذات يوم من أيام الريح العاتية .. الجبل . نتوءات الزمن الزاحف ، أخطبوط مسلط على الرقاب ، حيث لا همس إلا همسه ، ولا رعب إلا رعبه .. ارتطمت قدمائى فى ذلك الوقت بالصخر البارز كالسهم ولولا رحمة من الله لسبقت نهاية شقيقتى ... ذهبت لا تحمل هما ولا غما .. إنه حيوان شرس ، ربما سيجد شيئاً آخر حين يصاب بذهول ، تذكرت هذه الصخور الناتئة بقرينتنا .. ما فائدة أن يصرخ انسان هنا أو هناك .. فمه يصرخ ، قدماء مقروستان فى قاع الأرض ، وهو يتوقع أنه حى يتحرك ، وأن كل شئ من حوله يخفق . أما زال عنده قلب ؟ لأجل ذلك نفض عنه الغبار وطار حيث بقي يتحرك على مهل ... تذكرت ريع قرينتنا الصرصر ، لقد ذبحتنى كالسكين ، وهى تسيير لا تلتوي على شئ ، لا تحس بالاعياء ، والرؤوس تندرج تلقى بأنانيتها فى « الوادى » شقيق الجبل ، لن تستطيع الافلات منه اذا وقعت الواقعة ، ترى . أما زال الوادى يقتل ما يشاء حين ينهمر ولا يعرف طريقه كالقرير حتى اذا بلغ القرية اتى عليها كحين من الدهر ، فهلك الحرث والنسل ، وتلك قصة الاولين ..

♦ ♦ ♦ ♦

- عن أى شئ تبحث ؟
- ألم اقل أبحث عن الصوت .
- إن أنكر الأصوات .
- لا أنكر ذلك ، ولكن الصوت الذى أبحث عنه ليس من هذا الصنف .
- وهل وجدته ؟
- ما زلت أسترق السمع ، والطريق موحش كما تعلم .
- هل للصوت أغصان وأوراق ؟
- سيأتيك بالأخبار ...
- أتمنى أن تكون سارة ، أو قليلة الخطورة على الأقل ..



– أما سمعت .. أما سمعت .. لقد كان سباقا هذه المرة ..

– من ... تكلم ... وإلا خنقتك ..

– صوت التنور ..

– أنت تكذب .

قهقهه واضاف :

– أن أساعدك على فهم الاسرار المحيطة بنا ..

♦ ♦ ♦ ♦

داهم ضوء النهار بقايا النعاس في غرفته ، وكرر الديك صياحه تحت رأسه ، وحمحم البغل – بينما تواصل شخيره وكأنه في نعاس بداية الليل ، وأعدت أمه قطائف العسل ، واحضرت اللبن ، حتى ارتفع صوتها .

– اما زلت نائما يا ابني .

وتأملت وجهه ، واطبقت أصابع يديها ، ثم فتحت عينيها وهي تتعجب للامر ، وتراجعت بعض الخطوات وفي النهاية عازمت على ايقاظه فجأة وبخشونة ، حتى استفاق مذهورا .

<http://www.archive-beta.net/kuhril.com>

– وضعك لا يبشر بخير .. أنام حتى الصباح ..

– ماذا تريئني صانعا لو استفتقت مبكرا ..

وأخذ يتثاءب وهو يردد كلماته بصوت مرتفع ..

الا أنها تضيف :

– ان الشمس تتوعدك ، هه ... هه ...

طاطا رأسه ، ثم نزع عنه الغطاء ، وأخذ يضرب وجهه ..

– لماذا أنهض مبكرا يا ناس ، من كان مثلي لا يحمل نقودا ، لا يحمل املا ، ليس له رأى ، ولا يعرف كيف أو متى يكسب . من كان في وضعي عليه أن يموت ، أن يدخل القبر المفتوح حقيقة الذي نلهو أمامه لماذا النهار بالقرية الحربة ؟ لماذا الشمس تحاصرني ؟ اشياء مرصوفة رمادية اللون ، لقد أدركت عالم الاشياء التي أبحث عنها . لقد رسم الزمن صورته الباهتة على القرية . لماذا تقاب الوجوه ، وتركل الأرجل ، وتطير الاحلام الزاهية من العقول . هذا هو المشكل في حقيقته الكونية . لقد كنت أجر رجلين متعبتين ، تحملان جسما

فارغا مكدودا ، بانس الحال والمآل . وقد زادتني تعاسة قصص شيخ القرية التي ييئها على الناس ، والتي لا يشع منها غير التسليم بالامر الواقع . وما زلت أتذكر كيف دفعني الفضول ذات مرة لحضور أمسية من أمسياته وكان الشيخ يرتدي جبة بنية اللون ويده سبيحة صفراء ، وكان ينظر في وجهي نظرة استغراب ، فلاحقته نظراتي بنفس الاتجاه حتى استمالته . قلت له : لماذا لا تدفع القوم الى أفضل من هذا الذي تبثه عليهم من أساطير وخرافات وأوهام ؟؟ فما كان منه الا أن لاحقني معنفا ، وناصره في ذلك كل الحاضرين . وكان من ضمنهم والدي الذي تقدم وصفعني ...

♦ ♦ ♦ ♦

ما أحسن السير في هذ الطريق ، حين الاحق الطمائية ربما تكون هذه داخل النفس أو خارجها . لكن الشيء المؤكد أن القرية محرومة منها ، إذ تداعي الناس هنالك ، وسقطت أقنعة الزمن ، ماذا يود الشيخ الوقح الذي واصل تحديه لثورة الشباب في القرية ، ربما يأتي وقت نؤلف فيه جمعية سرية لمقاومة الشيخ وقلب الكراسي المرصوفة امامه في حانوت « الحكمة » .

- هل ما زلت عائشا في الفراغ .

- المهم أن أبقى .

- تقصد أن تعيش ولو على الهامش .

- ربما .. لا . الاحق أنفاسي ..

- هل يعجبك أن يسقط الجبل ذات مرة .

- لا احتمل ذلك .

... الجبل يظل هو القصة رغم النتوءات ، انه يبهرك ، ويعجبك لكنك قد تسقط من عليائه ، يعانق احلامك ، ويفتت أوهامك ، وسريعا ما يتركك تهوى خاصة اذا ساعدتك الريح الصرصر ، حيث يمتد الضباب على حذر ، ولا يستقر اللسان ، أو تروى بما زلال ، وانت في بداية الطريق ، ومات الملح ، وفني الجبل ، وزال المذاق ..

تري هل تعود اليها بأمل ، ولا تصالحها الا ليلا ، ولا تحمل للاهل الهدايا من انواع « الفريبري » ومبتكراته العالمية ، أعذاب هذا أم سعادة ... ودائما الجبل لا يجيب ، ولا يملك الصدى ، دفعه الخوف ، خوفه عليك ومنك في نفس الوقت . لماذا تعود بخفي حنين ، الا تجابه نفسك يا هذا ، خوفي عليك من نفسك وأنت تعود للقرية بعد طول غياب ودار لقمان على حالها ...!

♦ ♦ ♦ ♦

.. وتأمل ذاته ، صورته التي في الطريق ترتفع وتنخفض كالظل الذي لا يستقر على حال .. ليس له من أمل يطفو به على السطح كالآخرين .. أحب القرية وهجرها ، ثم عاد إليها يجز أذيال الحبيبة المرة ، تضربه أوراق الشجر ، تداعب وجهه ، فيستنشق رائحة التراب التي هجرها الى حين .. والماء ، المالح ، والهواء الكالح ، والتربة اليابسة ، والظلام والاصوات الرهيبة الى آخر القائمة الطويلة التي تمرن على سماعها ، والاستمتاع بنغماتها ولفحاتها أحيانا ... هل عاش مثل الآخرين .. هل هذا خبير ماء .. رائحة طين .... مذاق آخر .. ليس هناك ما كان يشاهده بالمدينة ، لماذا أحرمت قريته الى هذا الحد . لا رأس ، ولا اجداث ، لا ثمار ، لا طرق معبدة ، لا أضواء باهتة ، غير بهرة خادعة تداعب الشيوخ والنساء والشباب والاطفال ،، أين رائحة المسك والعنبر ، أين النخيل ، هل لفيضان الوادي من نهاية ؟ ..

.. عاد يتأمل الجبل ، لم يضايقه هذه المرة ، الطريق هادئة ، القرية خاوية على عروشها ، أين القوم ، الى ان رحلوا ، هل أعود اليها وحدي وأظل كذلك ، كثيرا ما كنت أود أن أعود اليها وهي زاوية كالآخرين .. ترى النور ، تفوص فيه ، وأتسلق الربوة كعادتي وأحنو على فاطمة ابنة العم التي تركتها عايشة على الأمل الخادع ،، ترى .. أين هي .. هل تزوجت بعدا أن تحققت من نفاقي ... سألت حبات العرق التي كانت تنحدر كلما أجهدت نفسي بصدق مع والدي في غرس الاشجار الصغيرة ، وسقى الغابة .. هل ما زالت حبات العرق تعرف جبهتي ، وهل ما زلت أتذكر قصة شقيقتي التي أهلها جحيم الاعصار في يوم رهيب ... لماذا تعلق الاجداد بهذه الارض سامحهم الله ،، جبل ثقيل الدم ، نتوءات غريبة تنبعث هنا وهناك ، وادي غرير لا يرحم ، وهذا كل ما في الامر ..

♦ ♦ ♦ ♦

اغاضته سخرية الزمن ، وبؤرة الفوارق التي غاص في لججها من شبابه ، لم يشم شيئا من الهوى الذي اعتاده ، نسي الاصوات التي كانت تستغيث ، حلمه البعيد ، فاطمة المهجورة ، وتنسم الأوراق التي كانت بين يديه ، كانت من غصن أخضر لم ير من عالمها شيئا ، ولن تحمله إلا لأحلام أخرى .

يحيى محمد

## مذكرات تائه

فى ليلة شنيعة الكتابة من ليالى خريف موحش . كنت أحلم . كانت ما تزال امامى فرصة صغيرة كى أحلم . كانت افكارى تحلم معى . كانت الانواء تحلم . تتحاور فى ما بينها محاولة جذبى اليها . واستراق حلمى منى . الأشجار المنكسة الراس فى الحديقة تحلم .. تحلم بكسر شكيمة الريح . وطى حلم مروع فاتن .. كانت تحلم باقتلاع جذور الكون .. وهدم سد الحياة . وما زالت جذلى تتسأل .. وتتسأل كيف ؟ وكيف ؟

كانت تريد أن تفعل شيئا يعيد اليها قواها المنهارة .. يعيد اليها شبابها المشاكس .. ولكن ..

وكننت أنا الآخر أريد أن أفعل شيئا . لا أدري ماذا .. ربما كى أشعرك بوجودى .. بنفسى .. بكىائى .. لماذا ؟ لا أدري كذلك !!

افكارى تريد أن تفعل أشياء ، مهولة ومريعة . أيامى تتصارع . تتنازع مع أحلامي فى خضم رعب مدمر ، ساحق فى سبيله الى قطع آخر خلايا الميتة .

فى قعر جمجمتى تتقاتل طوائف عربية من أجل قطعة أرض قيل إنها منبع آبار بترولية ما لها وجود .. فى صدرى شياطين تزمجر . وأشجان زنجية هاربة من قوافل قحط إفريقيا .. وناطحات سحب تنفتت فوق رؤوس أبرياء ، ملاعين قضى مقاولون استغلاليون بدفنهم تحت الانقاض .. وخدم يجلدون أجسام أسيادهم وقد حكم الدهر بتعذيبهم انتقاما لجرم لم يقترفوه . ويأس بارد . مريع يزحف نحوى كقضاء لا يرد . برد .. برد .. برد ...

إذا كان هذا هو الموت . فانا ميت .. وإذا كانت هذه عذابات الحياة فربما أنا الآن أعيش . أحيا الحياة التى لم أعشها أبدا .. وما وصلت اليها أبدا ..

البرد يتسرب الى بدنى . يغمرنى . اليس البرد هو احدى علامات الحياة ؟ لا .. بل هو احدى علامات الموت .. الموت .. والبرد .. وهذه الكتابة الموحشة

اليست هي الوجه الحقيقي للحياة . الوجه الواقعي للوجود دون تبرج .. دون  
زيف .. دون رياء ؟؟

غدا مع الفجر لا بد أن أرحل . أهيم في البراري . أسلم البيت لأصحابه ..  
أو الى من وعدوا بالعنف أصحابه .. بالدعاء أصحابه .. وأرحل . الى أين ؟ لا  
أدري ، ولا أحلامي التي كانت تتقاتل بالأمس في رأسي تدري .

لا بد أن أسلمهم الارض .. والحديقة .. والاشجار المتساقطة الاوراق ..  
ورقعة السماء الداكنة ، المكلفة بالسحب .. أرحل لأصبح لاجئا في ارضى ..  
غريبا في وطني . مطاردا في مدينتي . ملعونا من أهلي ..

الحق .. العدل .. الشرع .. الكل معي .. لكن في الواقع لا شيء معي ..  
لا شيء ، سوى كآبة الحريف ، وحفنة من الضباب تترعرع في مهجتي ..  
والعدل الضائع .. والحرية المفقودة .. الظلم الراقص فوق الجبال الشاهقة ..  
والاحلام الذبيحة خلفي .. خلفي .. وما أمامي إلا الضباب . الضباب ..  
ووحشة الحريف تضمد جراحى .. تسكن خاطرى .. تحثني أن امد يدي ..  
أخط إليك كلمة . كلمة ربما وصلت إليك ؟ ربما تعثرت في شبكة الضباب ،  
ووصلت الطريق .. ولكن لا بد أن .. لا بد أن ..

\*\*\*

مولاي السلطان ، أيها الجالس في الأعلى على العرش .. هل تسمح وتنظر  
لو مرة الى الأسفل .. الى ما تحت قدميك .. خارج أسوار قصرك ، فهناك  
خارج القصر عالم زاخر بالأمسى . مغمم بالهموم . عالم كله جوع . وحرمان .  
وبؤس . وصراع متواصل مع الشقاء . عالم ربما سمعت عنه فمر في ذهنك  
كخرافة طريفة . خرافة غريبة من حكايات ألف ليلة وليلة . تتسلى بسماعها  
لقتل رتابة الثواني .. وتعتن الساعات الملولة لا غير .. ثم تنسى .. تنسى  
الخرافة الطريفة ، ودنياها التي تحجبها عنك أسوار قصرك الفخم لتنفس في  
فتون ملذاتك ..

سؤال حائر من تائه في سبيله الى الفناء ، كان في يوم قريب ، قريب  
إنسانا . نعم كان لبعض سنين إنسانا .. ثم ...

مولاي السلطان ، هل ذقت يوما طعم دموع الكادحين ؟؟ هل وصلت الى سمعك يوما آهة المعذبين ؟؟ هل سمعت هتاف التائهين في القفار .. بلا ديار .. بلا مأوى .. بلا منازل .. لأن أوغاد بلدى عرفوا كيف يجعلون منهم لاجئين في أرضهم .. لاجئين بلا حرب .. بلا نصر .. بلا أمل في العودة .. بلا أى وهم سوى بريق الهزيمة يكحل أعينهم .. يهد قواهم .. الهزيمة .. والضباب .. ضباب الحريف الكثيب .. الكثيب .. هل وصل الى قصرك أيها السلطان ضباب وبرد هذا الحريف الموحش ؟ لا أظن .. فالقصر دافئ ، الحجرات منعش الأجواء لا يترك للضباب منفذا .. مكيف الهواء .. يواكب كل الفصول .. السجاجيد تغزو البلاط .. المرايا في كل مكان .. الألواح الزيتية تغطي الجدران .. المدفء في كل مكان .. المدفء الذي لم أعرفه .. ولن التقى به أبدا .. لأننى لم أعرف إلا الضباب .. والسحب القاتمة ، لأن سمائى سوداء .. سوداء .. وحياتى سوداء .. نكراء .. الكلاب تبحث عني في كل مكان .. تحاول أن تمزقني .. تقتلني قبل أن ألتقى بك .. قبل أن اسمع آهاتى .. قبل أن أنفث تحت رجلك لوعة أشجاني .. هي في كل مكان .. في الشارع .. في الحلاء .. فوق كتفى .. في مغاور بطني .. خلفى .. أمامى .. الكلاب .. أينما رحلت سبقتني الكلاب .. ومعها الضباب .. والبرد .. ووحشة الحريف المؤلة .. والعذاب .. الكثير .. الكثير من العذاب الدنيا تتمزق بداخلي .. تنسحق معا .. والغد .. والكرامة .. والكبرياء .. ونداء اللاجئين .. ومهانة السنوات البالية .. لا شيء .. لا شيء ضاعوا في دوامة السفالة .. دفنوا تحت ألسنة الجائرين .. يتسروا بأسنان المنافقين .. آه ما أكثر الكلاب في حياتنا .. ما أكثر الكلاب في وطنى الضائع !!!

ما تمنى إنسان بلا كرامة .. بلا كبرياء .. بلا أرض .. بلا روح .. بلا .. ولكن لكي أعيش بين الكلاب لا بد أن أكون بلا شيء ، مجرد غريب في وطنه .. لاجئ ، في أرضه .. لكي أرضى الكلاب لا بد أن أكون بلا شيء .. صفر مع صفر .. مجموعة أصفار كبيرة .. مستديرة .. حالكة الفراغ أكون أنا في قعرها لمحة ضباب تبحث عن مسلك في دهاليز الوجود المتعفن .. ضباب تحجبه عنك الغشاوة التي وضعها الكلاب فوق عينيك كي لا تلمحنى .. كي لا تمد لي يدا .. كي لا تنصفنني حينما يشتعل في قلبي الألم .. حينما لا يبقى في جسمي مكان للألم .. وأصلب ألف مرة على بوابات بلاد طاغية شردتني .. ألقت بي خارج أسوارها وقد بنيت بسواعدي أسوارها !! ورفعت فوق كتفى

أحجارها . وطلبت بعرقى ، ودم طموحاتي جدرانها التى بهتت ألوانها بعد أن  
رأيتنى أصلب كل يوم .. مع كل طلعة فجر .. ومغيب كل شمس .. ولا من يمد  
لى يدا . إلا لكى يصفعنى . إلا لكى يجلدنى . الصفع !! هل علم مولاى السلطان  
أن أيدى الكلاب لا تمتد إلا للصفع . هواية شاذة . الصفع .. هواية الكلاب  
الشرسة .. ولغة الأوغاد ..

هؤلاء الأوغاد رغم ما نهبوا .. وسلبوا ما زالوا يشحذون .. يحومون حول  
أسوار القصر .. وفى ردهاته .. ورؤوسهم تصطبغ بمشاريع فتاكة .. فيها  
اختلاس .. ودمار .. وغش .. وخداع ..

ونحن خارج الفردوس سعداء . كلنا سعداء فى دنيا الشحاذين ، أو هذا  
ما يجب أن نكونه .. أو ما نتظاهر به .

هذا يشحذ منصبا . ذاك يشحذ مالا . آخر يشحذ خيرا . يريد لقمة ..  
وآلاف المظلومين يشحذون عدلا وإنصافا . يشحذون سلاما وطمأنينة . الجميع  
يشحذ فى دنيا الشحاذين !!!

وانت يا هارون الرشيد فى غمرة النشوى لا ترى . لا تسمع ..  
كم طالمت غيبوبتك .. أم ربما أنت الآخر قررت دفن ساعاتك فى غيبوبة  
مريحة تساعدك على النسيان ~~النسيان~~ ~~النسيان~~ ~~النسيان~~ النسيان .. نسيان  
البائسين .. والمظلومين .. أم أنت تخشى التحرر من غلائل غيبوبتك ..  
تخشى أن ..

انظر .. هم حولك يضحكون .. لم هم يضحكون كثيرا ؟ الضحك ..  
الضحك .. ألم يتعلموا مهنة أخرى أجدى يمارسونها ؟

الضحك هو قناع تختفى خلفه الوجوه الحقيقية لعشاق النفاق . السفلة  
يخفون تحته سفالتهم . المنافقون يوارون خلفه تملقهم . الحزاني يخفون وراء  
نكبتهم .. والمضطهدون يستترون به خوفهم .. وتمزقهم .. لا بد من الضحك ..  
لا بد من قناع للبقاء فى عالم النفاق . كان الأجدر بهم أن يصمتوا . لم لا نبكى  
بدل أن نضحك بتفاهة .. بصفاقة . بدل أن نسخر من أنفسنا . نحرق أنفسنا  
بأنفسنا بدناءة ..

هل جفت الدموع ؟ لم لا نبكى . البكاء متعة وراحة . متعة لا يعرفها إلا  
التعساء ..

الدموع .. قيل صادرها الخليفة مولاى السلطان ، ملا منها بحيرة جميلة  
فى قصره كى يستحم فيها . من دموعنا الحارة . من سبيل عيوننا الملتهبة يأخذ  
حمامه الساخن المنشط للعضلات كى يزداد كل يوم شبابا وفتوة .

مولاى هل حقا صادرت الدموع ولم تترك للتائهين سوى الضحك المعتوه .  
الضحك الأبله يدفنون خلفه كرامتهم الميتة . يخفون تحت أنقاضه همومهم ..  
وشرورهم .. ومزاياهم .. وخطاياهم ..

مولاى السلطان لم يبق لى غير الدموع هل ستصادرها لتستحم بها كما  
صادر المحتكرون الأراضى .. والاسمنت ليرسلوا به الى بلد يدفع ملايين  
الدينارات ، لبناء المنازل .. والقصور .. وأبقى أنا لاجنا فى بلدى .. لاجنا بلا  
حلم فى عودة . بلا أمل فى نصر . لم يبق لى غير الدموع ، ومهما يكن فهى  
لك .. ولم يبق للمنافقين غير الضحك . الضحك من حقارتهم . الضحك من  
أنفسهم .. الضحك .. الضحك .. لكن يا مولاى لا تصادر دموعى . هى لك .  
ولن تجف . منابع آدمى ملاى يمكن أن تشحن بالمياه عشرات المسابح لك ..  
ولحاشيتك .. وادارتك وكل كلايك ..

مآقى ملاى يا مولاى بدمع همومى . دمع كبريائى الجريح . دمع كرامتى  
السلبية .. وستظل . ملاى ما دام على الأرض ظلم . واضطهاد .. ما دام على  
الأرض تائهون بلا ديار . ما دام على الأرض كادحون لا يجدون ما يملكون سوى  
الهموم . ما دام الجوع باقيا . ما دام البرد يجلد أجسامنا .. ما دام الضباب  
يعمر قلوبنا .. لن تجف مآقى .. مولاى لا تخشى على مسبحك الرخامى الكبير .  
الأزرق اللون أو الوردى .. لا يهم .. مسبحك الرخامى سيظل ممتلئا بآدمى  
تستحم ساعة تشاء . وتسبح لحظة تشاء .. لأنى خلقت لك . نعم خلقت  
لأعصر مصيرى دموعا أمد بها مسبحك .. حتى أحواض حدائقك يمكن أن  
تشحن بآدمى أو بدمى كى يرتفع فيها السمك البديع فيمتع نظرك .. وما معنى  
حياتى وأدمى إن لم أضعهما فى خدمة خليفة المؤمنين .. حسبى أن تنكرم  
وتركلنى بقدملك من لحظة لأخرى كعلامة رضى .. وتعرف أنى ما زلت هنا .  
ركلة منك فتشرح أمامى الحياة .. الحياة التى أنا منها ، وهى منى براء !!!

ضاعت الحياة منى ولكن .. لا بأس لا شىء باق على الأرض . هكذا قال أحد  
الأنبياء .. أو ربما أحد الأغبياء .. أو الحكماء .. لا أدرى ..



لا شيء باق غير دموع التعساء .. والضباب .. والبرد الذى ينخر عظام  
البؤساء .. حتى الضحك يفنى .. يتلاشى مع الهمم المباعة . الضحك يموت مع  
القلوب المتحطمة .. مع الآهات المتمرة ، لتبقى الحياة وحيدة مع الحزن ..  
وأبقى أنا ودمعى لك يا أمير المؤمنين أوفياء . نحن دوما لك أوفياء ..

\*\*\*

فى صباح شتاء مطر .. مظلم .. كانت الطبيعة غاضبة . كانت ماسوك  
السموات غاضبة . كنت أنا غاضبا .. لم .. لا من يهमे أن يعلم . منذ سنوات  
وأنا غاضب ولكن ..

تمطر .. تمطر . وما تنفك تمطر . ما أعذب أن تمطر . وما أروع أن تتدحرج  
السما تحت سطوة السحب المتكاثفة . تفرقعها الزوابع فلا تبقى منها للأيام  
شيئا ..

لا بد للطبيعة أن تستسلم للأمطار .. كما لا بد أن يستسلم اللاجئون  
للغربة . سكنت النهار . وفى سكوته تناحر الصمت .. وتلاشت طمأنينة . لم  
تولد بعد . وفى سهل الأفكار والكلمات المشوشة .. والأمانى المنهوبة ،  
كانت الشهب تزداد عتمة . فبنى قصورا من ضباب . تسخ لحظة ثم تهوى على  
جواربها .. وغلمانها وعرش الخليفة الذى فقد تاجه فى كثافة الضباب ، فبقى  
عارى الرأس .. مطعون الحلف تائها هو الآخر فى ظلمة السحب يبحث عن تاجه  
المفقود .

وحدى أحلم مع الحياة التى لم أعشها ، والحريف الذى رحل مع عمرى .  
أحلم ! معذرة . لن أحلم بعد اليوم يا أمير المؤمنين .. أيها السلطان . لقد  
انفصم ظهري . ذوى بدنى . جف دمي . ودموعى !! أنا خائف أن تجف هى  
الأخرى ولا تجد بماذا تستحم جواربك .

أخشى أن أثير غضب جواربك يا مولاي . لكن ما ذنبى . البرد قد امتص  
منى الرحيق . نخر عظامى . نقيمتك تطاردني .. لم لا نجعلها تطارد البرد ..  
والأيام التى هزمتنا وأسعدتك .. الأيام !!

مولاي ، الأيام هى عدونا المشترك . ليست عدو اللاجئين ، والتعساء  
فحسب .. الأيام يا مولاي لا تستهن بها . أعرف أنك قوى . جبار . ربما

أكثر دهاء من الأيام . أوفر قساوة ومكرا . ولكنك لست أقوى منها هي أطول . أطول منك . ومن سلطانك . وصولجائك . تمتد الى ما لا نهاية . في امتدادها نهاية كل قوة . نهاية كل قمع . كل سيادة . هي ليست لها نهاية . إنما أنت .

أيها الخليفة احذر من الأيام . احذر أن تجف دموعي كما جف دمي . احذر أن يزج بنا الدهر جميعا في حظيرة اللاجئين .. هم . أنا .. وأنت .. الأيام بيننا يا مولاي هارون الرشيد .. أنت لا تخشاها . في قصرِكَ الفاخر تبتسم لها هازنا . وزيرك جعفر قربك يحشو رأسك بترهات فخمة . بأكاذيب لعينة . لا تستمع اليه . نصيحة منى لا تستمع اليه يا مولاي . لا تستمع الى لغو أحد . إنه يقودك الى الهاوية . وهو يعرف غدر الأيام .. لكنه يتجاهل . يتفاني . هو الآخر عدو لك . يترصدك .. يحاول أن يلتهمك قبل الأيام .. وقبل أن تستفيق وتلتهمه بدورك . هو الآخر شحاذ . شحاذ متعالى يريد أن يبتز منك القوة والصولجان ثم يلقي بك فريسة سهلة في فم الأيام ..

يرأود ملكك . يصادده كما صادركم مدينتي الاسمنت .. والأحجار وأشياء أخرى كثيرة . كثرة أرسلوا بها الى بلد يدفع الذهب لبناء القصور .. والعمارات .. ولا يهمهم أن يرموا بنا للأكوخ .. للخلاء .. أنا الآن في الخلاء يا أمير المؤمنين .. حتى خيمتي تمزقت . لم أجد خرقة ولا وتدا أصنع منهما خيمة أخرى . وأنت تبتسم لتفاهات جواريك . للكلاب الملتفة حولك . للأوغاد الجالسين قربك . يضحكون للنوادر القذرة . للدعابات السمجة . وأنت تضحك .

أريد أن أضحك معك . أشاركك يا مولاي في أمر قبيح لن يكلفني شيئا . لا .. إنه سيكلفني أشياء مهولة يا مولاي . سيكلفني نفسي التي فقدتها وأنا أضحك . أجاري الجميع وأضحك . يكلفني كرامتي التي تحطمت وأنا أبتسم . حياتي التي ضاعت وأنا أصفق فرحا . وأبتسم مسرورا . أتلفع بعباءة الهزل وأضحك . أصبحت أعجوبة الزمن وأنا أضحك . وغدوت مهزلة الأيام وأنا أضحك .. وتلهي بي العبث وأنا أضحك راقصا . ودمرني الجد وأنا أتماسل نشوة فرحا . ونهشتني الكلاب وأنا أضحك . ودموعي تنهمر في مسابحك تجعل منها بحارا ساحرة ترتع فيها مراكبك . وأنا أضحك . للدعابة المريرة أضحك . لكن الى متى أظل أموت .. أموت كل لحظة وأنا أصفق راقصا .. وأضحك .. الى متى ؟

لكنى الآن .. الآن اكتشفت أنى نسيت كيف أضحك . نسيت . المذرة .  
أيها الحليفة العظيم . نسيت الضحك .. لكنى أقدر أن أخدمك بنواحي أكثر  
مما أخدمك بضحكى .

لقد جعات منى مهزلة الأيام ، فلتضحك الأيام على . ويبتسم الحلاء الذى  
أضحى مضجعى .. ما ازكى رائحة التراب المبث بدموع المعذبين ! ما أطيب  
الهواء الطلق وهو يلثم أنفى ! يفضحنى بعطره الفائح . يهمس لى مواسيا ..  
يذكرنى بطيب وطنى أنا الغريب ، اللاجئ فى وطنى مذ صلب الجسد فوق أسوار  
الهزل .. واحترق العدل فى مبخرة الظلم ، عرفت أنى فقدت وطنى . واضعت  
خيمتى . وزادى . وجرايى . وأصبحت أسير الأيام . أسلمت نفسى لها  
طائعا .. كريما ، إذ أعرف أنى لو حاربتها ستتلفذ بأسرى محطما ذليلا .  
وأنا فى الحلاء وأرضى خلفى ما زلت أفكر فيك يا مولاي إذ قبل كل شيء وبعد  
كل أمر أنا أحبك . أنا وفى لك .. إذ أحسستنى بحاجتك الى .. أنا لا شيء .  
أعرف ، لكنك بحاجة الى .. الى دموعى .. الى ترانيم آهاتى .. الى تسابيح  
همومى . الى تعاستى ومعاناتى .

أنا أفكر فى الغد . والأيام فحاذر من حولك أولا . أنظر جيدا لمن حالك .  
لقد كثرت الكلاب . كلاب الشتاء كثيرة وغادرة يا مولاي . من كل صوب  
جاءت . هى أدهى مما تصننوا وأذكى مما تعتقد . لا تتركها تتمسح عليك  
بهذه الألفة المقيتة . تنكس رأسها أمامك توددا . وهى تحاول عضك فى الخفاء .

حاذر من الكلاب أولا .. ثم من الأيام يا مولاي .. وأنا لن أبخل عليك  
بأحزاني ولا بأدمعى .. لقد تعودت على الحلاء .. وعلى البرد . القفر لا يخيفنى ..  
إنما لا أستطيع نباح الكلاب ، ولا تملقها الذليل .. أنا مثل ذاك الفارس  
الأسمر لا أستطيع نباحها . رضيت أن أخرج مدحورا . رضيت أن أتبه فى  
القفار . أنسى أرضى . أنسى خيمتى . لكنى لم أنس نباح الكلاب وأزدحامها  
فى ردعات قصرك الفاخر . وابتسامة المحتكرين وهم يبيعوننى . ودناءة  
المنافقين .. والأشياء الجميلة .. المجهولة التى كنت أحلم بها . والأشياء الحبيبة  
التي لم أستطع حتى أن أحلم بها .. والأشياء التى انتزعت منى .. وأخرى  
ما زالوا يرغبون فى انتزاعها منى ومن غيرى . من هؤلاء الحائرين الأبرياء .  
الكلاب أرغمتنى أن لا أحلم . وما جدوى الأحلام والطموحات بينما أفقد نفسى .  
حينما أصبح بلا ثمن . بلا كبرياء . بلا كرامة .. حينما يصادرنى المحتكرون

مثل الديار .. والمزارع .. والقصور .. والاسمنت .. وأشياء أخرى كثيرة .  
وأنت لا تعلم .. أو ربما كنت تعلم . من يدري ربما كنت تعلم ...

لذا أخشى أن أموت .. أن تجف أدمعي ، فتبقى بلا قلب وفي .. فمن  
سيسقى بساتينك . من سيملأ مسابحك للجوارى كي يسبحن فيها وتظل أنت  
ترنو مشدوها الى الأجسام العارية .

الكلاب التي حوكك لا شيء . لا تعرف إلا أن تبول . تبول فقط . فهل  
ستملأ المسابيح بولا . وتسقى بساتينك بولا ؟ هذا ما سيحدث لو مت يا أمير  
المؤمنين . لن تلتئم أنفك بعدى غير النجاسة ..

اطرد الكلاب من حولك .. تعال انقذني من الخلاء .. من محتكرى الاسمنت ..  
من عصاة مهربي العمارات .. من غاصبي الأراضي .

معا سنقهر الأيام . سننتصر على الكلاب .. وعلى البرد .. والضباب ..  
والسحب التي تغشى طريقنا فتبعدنا عن بعض .

لى قصة طويلة مع الكلاب يا مولاي أود أن أقصها عليك .. ولكن يمنعني  
الحياء .. ليس كل ما أعرفه يقال واستفاه .. ثم رغم الفقر .. رغم الجوع . رغم  
التشرد ، والمبيت فى العراء .. فما زال عندي بعض حياء . وشحنة وافرة ..  
وافرة من الإباء ..

لست الوحيد التائه فى هذا الخلاء . هناك كثيرون جاءوا قبلى . وآخرون  
حتما سيأتون بعدى .. كثيرون ..

خيال تائه التقيت به فى ليلة ممطرة من أيام شتاء عاصف ، يلح على أن  
أذكرك . أقص عليك قصته القصيرة التى هى منى .. ومنه .. خط هو  
البداية .. وأنا الآن أخط النهاية .

حلقة !! حلقة رهيبة من مأساة متجددة المحن .. هو .. أنا .. كلنا .. كلنا  
يا خليفة المؤمنين أصبحنا فى الغربة والتشرد سواء ...

\*\*\*

فى صباح ربيع مشرق ربيع مر سريعاً فى زمن ما . ربيع لن أنساه .  
ما زلت أذكره . أذكر شدو أطيابه . أذكر عبير أزهاره . أذكر خرير سواقيه

الرقراقة وفراشاته المحاقة في الحدايق .. والنحل يمتص الزهر بمرح . ربيع  
لن أنساه لأنى لم أر بعده ربيعا . ولم أعش ربيعا سواه . رأيتك أمام خيمتي ..  
كنت فارسا جريئا .. صريحا .. كريما .. وعدتني وعودا كثيرة . تكلمت عن  
أمانى كبيرة . أيقظت فى نفسى شعلة أوهام بهيجة وعسيرة .. ظننت أنى  
- أخيرا - فوق ثرى الربيع الباسم سأبنى بيتى . سأغرس أشجاره .  
وسواعدى التى كانت نصف مشلولة . بأيدى .. بأفكارى المشتتة سأبنى  
صروحا . سأقتطف من السماء بروجاً .. ومن الأرض كنوزاً .. و ..

ترزعزع الوهم فى قلبى . كدت أنسى الأيام . كدت أتحدى الأيام ، أنا طريد  
الأيام .. كدت أسخر من الأيام .

لكن أين الوعود يا مولاي .. ماذا جرى ؟ هل نسيتنى ؟ هل لفظتنى أنت  
الآخر بعد أن قلت !! بعد أن كنت !!!

واحسرتاه !! الذهب .. ملايين من الأوراق السحرية . أنستك بين صبح  
وعشية ، ما كنت وعدتني به . ما كنت أنت تعلم به قبل .. ما كنت تسعى  
اليه .. هل نسيت ؟

هل تفكر فى الضحية ، وطبق اللحم أمامك تقوح رائحته بعطور ذكية ..  
من يفكر - لحظتها - فى الضحية .. بل الجميع يتمنى أن يذهب العالم كله  
ضحية من أجل لقمة شهية ..

أنت الآن تفكر فى ملكك . فى جواريك . فى قصورك . فى الجواهر المكسدة  
فى خزانك . فى الكلاب التى تتمرغ تحت قدميك .. أنت تعرف ماذا تلغ  
منك وهى حتما تدرك ما تبغى أنت منها ..

تتلهى أنت بسباحها . تتسلى بانتزاع فتات سطوة منك . فتات سيادة منك .  
ثم .. ثم ستنتهى المهزلة . لا بد أن تنتهى المهزلة فى يوم ما كما ابتدأت .

ولكنى سأبقى أنا كما أنا لأنى - رغم ما قيل ، وما يقال - أنا باق كما أنا  
منذ قرون .. منذ أجيال .. منذ سنين .. سأظل ، أنا كما أنا علكة يمزقها  
الماكرون .. نادرة يتشدد بترديدها المخادعون . يتكلمون . ويتكلمون عنى .  
وعن بيتى الذى يفكرون فى بنائه .. ما يريدونه لى . وما لا يريدون .. وقد  
نسوا - فى زحمة الطموحات - حتى من أكون !!

نسوا ونسيت معهم من أنا ؟ ومن أكون ؟ وتاريخ المنافقين قد جردني من هويتي . من جنسيتي . من اسمي . من وطني . إلا من فكري . فكري الذي صدعوه عصورا بالكلمات .. فكري الذي حشوه دحرا بلغو الترهات .. فنسيت .. نسيت .. لكن ذكرى لن أنساها ، كربيعي الاول والاخير . هل تذكر - مولاي - ذاك الامير الشهم الذي مد لي يوما يدا . ذاك الامير النبيل الممتليء الرأس مثل أحلام مثيرة .. ذاك الامير الاسود العينين . كان هو الآخر يحبني كثيرا . بل ذنبه الوحيد انه احبني كثيرا . بحماس . بشجاعة . باخلاص احبني كثيرا . رغم الاعداء . رغم ما يترصده من هذا الحب من ويل وبلاء .

مد لي هو الآخر جسر الاحلام العسيرة . أحلام كان أول من صلب من أجائها . كان أول من دمر من أجل حماقتها .

تشرذ مثلئ . تعذبنا معا . تقاسمنا الأحزان معا . كانت أمانيه أكبر منه . ومنئ . أضخم من قلبينا . وأعنف . أعنف من مطامعنا . عاث دحرا في الأحلام الى أن التهمته الأحلام . لم يفكر هو الآخر في الأيام . لم يفكر فيما خلف .. وأمام .. الأيام !!

كان خافها الرعب . الخديعة . الهزيمة . الخطيئة . الفداء علانية . والحساسية والارتشاء في الخفاء . كانت الكلاب تترصده . لم يكن يستطيع تباعها . صم أذنيه عنها . وكل تذللها وهي تحاول شم خطاه . احتقرها . لم ينخدع الى انصياعها فعضته . عضته . وبقيت تعض الى أن أفنته ..

رحل الامير الاسمر قبلي . راح ضحية الاحلام ، أم فريسة الايام .. لا أدري سوى أني بفقدانه أضعت وجودي . أضعت غدي .. والربيع الوحيد الذي مر ركبته بحياتي لابقى مجرد علكة يلوكها المنافقون في اوقات الفراغ وهم يجاهدون في التقرب اليك .. وفي كل خطوة يقتلونني .. في كل كلمة يصلبونني . في كل ضحكة يسحقونني . وما زالوا يجاهدون في التقرب اليك وقد جعلوا من جسدي جسرا يقفزون فوقه للوصول اليك . وأنت مرح . باسم كاني ما كنت شيئا لديك .

مولاي السلطان هل نسيت الفارس الجريء ؟ هل نسيت ؟ لا أدري كل يوم يقودني الحنين الى ذكراه . كل يوم أقول نسيت ، وسأنساه لكنني أعود مرغما الى ذكراه ، لأنني الى الآن لم أجد من يأخذ بيدي سواء .

وأنت سائر فى متاهات غيبوبتك . سائر تساند الكلاب . أصبحت من  
هواة جمع الكلاب .

والأوراق .. والذهب .. والقصور .. ثراء يجعل من المسلم مجوسيا .. من  
الشهم لثيما .. من الحمل الوديع ذئبا .. هل أستطيع أنا المتحطم القوى أن  
أتسلق هرما من الدراهم والدينارات ؟

حقا ما كان الذنب ذنبك .. ربما ذنب الأيام .. فلن أعاتبك .. إذن ..  
ساعاتها هى .. تلك التى غدرت بنا جميعا . وهزمتنا جميعا . وشردتنا  
جميعا : الأيام ..

عرفت الآن أنه مجرد وعد تهورت بالتفوه به . فكرة عابرة مرت بخاطرك ..  
ثم مع تراكم الأحداث .. ومرور السنين ، غرقت فى بؤرة النسيان ..

غصت الأرض حولك بالتائهين . اصطكت الجبال بنواح اللاجئين . لم أعد  
اللاجئ الوحيد . أو التائه الوحيد الذى يثير اهتمام المراوغين ويسيل لعاب  
الانتهازين ..

جاء بعدى كثيرون . آخرون من جميع أنحاء الأرض ليصلبوا . ويتعذبوا .  
الصلب .. الصلب للجميع .

وأنت ما زلت فى غيبوبتك . فى سباتك . والكلاب تنبح . تترقب فرصة .  
الكلاب هى دوما بالمرصاد . لى . ولن قبل . ولن بعدى . الكلاب . وهذا البرد  
الذى عاد يدمرنى .

برد الشتاء .. ووحشة الحريف .. وقساوة عذابات الربيع .. الربيع القارص  
هو أشد قتامة من الشتاء . أشد هو لا مما سيأتى بعد الشتاء .

\*\*\*

فى لحظة من لحظات يوم قاتل القلق ، من أيام صيف ميت .. القيقظ يخنق  
الأنفاس . حرارة مسعورة اللظى تلفح جسمى . الجوع .. القلق .. الانتظار ..  
ترقب الغد المرعب .

لكن الصقيع يغزو نفسى . البرد فى أعماقى . فى ضلوعى . فى قلبى . فى  
فمى . القيقظ !! إنه خارج أعماقى ، انما بداخلى صقيع .. صقيع مدمر ..  
صاعق كآحزاني .. كهيموى .

الظلام .. القنّام .. حتى باقات الغل والياسمين وقد رأيتها آخر مرة ،  
شاهدتك فيها ، صرعى تحت قدميك تبدو سوداء . سوداء كأيامنا واحزاننا .  
ووعودك الغائبة . وآمالنا الفاشلة . وذكرى التائه الذى رحل قبل . ومرارة  
اللاجئ ، القابع فى نفسى . والشريد الآتى بعدى . ووجوه الشحاذين لا تبارح  
مخيلتى . تزيدنى ياسا . والما . تثير عطشى للدماء . وتقضم شهيتى للحياة ..  
يا لحبة وجوه الشحاذين وصفاقتها .

حسنة يا هارون الرشيد . يا ملك الزمان .. هل من قصر ؟ . هل من  
خيمة ؟ هل من كرسي شاغر فى ديوانك ؟ هل من ذهب ؟ وبعض بعض سيادة  
توفر لى منصبا .. أين ؟ أين ترى ؟ المهم أن أجد مكانا . وأسلوب الآخرين  
مكانا .

أشخذ . أسلوب . هى غايتى . وسيلتى . طريقتى . حسنة أمير المؤمنين .  
لا تستشر جعفر سيمنعك من مد يدك . من تحريك لسانك . حسنة بسرعة  
ما دمت فى غيبوبتك . ما دمت فى ... لكلاّب ويحها . نباحها يلاحقنى .  
يسم الهوا حولى . وعمسات دائرتك ما تنفك تزرع الحقد والبغضاء فى  
طريقك . فى طريقي . جعفر مثلك حائر الفكر بين الحب والعداء . مثلك .  
ومثل . ومثل ... ها هو الصيف قد حل . وحل معه الخوف . الخوف رصيدي  
فى صندوق الوجود . الخوف من الماضى . من الحاضر . من المستقبل . الخوف  
من نفسى . ومنك . ومن القيظ .. البرد الذى يهد كيانى . الخوف من العلم .  
من الجهل . من الوعى . من اللاوعى .. ومن الجفاف .. الجفاف .. الخوف أمسى  
شعار حياتى . حقا لم يبق فى حياتى ما أخشى عليه . كيف أخشى على شئ  
لم يوجد بعد ؟ لا ..

حتى الذين كانوا يهابوننى ، مع نسائم الصيف نسوا وجودى . وتناسوا  
حياتى .

الآن هم عادوا يضحكون كثيرا . حتما لينسوا حياتى سيخدرون حواسهم ،  
ولا يتذكرون أنى هنا . ما زلت هنا أرقبهم بصمت . بابا ، دون أن أسلبهم  
متعة الضحك على . واللغو بحياتى .

هل أنت غاضب يا مولاي ؟ ولم تغضب ؟؟ هل أشقاك خضوعى ؟ هل عذبك  
تذلى ؟ أجبنى ..

كان من المفروض أن أغضب أنا . أنا الذى خلقت كسى أغضب فى سرى .  
أموت وأحيا فى سرى . ولا أغضب أحدا منى .



انت متعب . بدأت الكلاب تكدر عيشك . القبط لعب برؤوسها . حذار  
ايها الجبار المسكين . هذا الصيف يحرقنى . حريتى تحترق فى قلبى . وطنى  
يلتهب بصدرى .. والبرد ما زال يفتتنى . والخوف من العجز يلاحقنى . لن  
أستطيع أن أملا البحار الجافة بأدمعى . لم تعد كافية لاسعادك . لتمديد  
راحتك .. والناس لاهون حولى كان شيئا لم يحدث ، كان البحار لم تجف .  
كان أعين السماء لم تكف عن النواح مذ رحل الشتاء حاملا ملالات الطبيعة .

فابتسمت هى الأخرى ساخرة لتتركنى وحدى مع الأحزان فى القفار وقد  
تمزقت خيمتى . وفقدت كل إحساس بالحياة .. فقدت .. فقدت .. أواه لو  
أعد ما فقدت مذ دخلت جحيم الدنى . لو أحصى ما فقدت .. لكن  
صقيع الصيف يملك حواسى . يمنعنى من الإحصاء . وما نفع إحصاء ما فقد .  
ما ضاع . ما فات . فلاغص فى صقيع الأحلام الميتة . فى ثلوج الساعات  
القتيلة . صقيع اليأس . اليأس علنى أجد دربا . علنى ...

!نا أذوب . أذوب . صنم الجليد تواطأت على قتله اشعة الشمس البازغة .  
حكمت بأذابته . تحدثك . وتحدثنى . هذه الأشعة المسجدية تتحدى الجميع .  
غدا أذوب . أعود لاشئ . بركة مياه نقية . نقية ترقص فى حلبتها شمس  
الصيف الكبير الفؤاد .

مياه نقية لا تستطيع الكلاب أن تصل إليها ولا أن تلحسها . بل سأروى بها  
أرض الحلاء العطشى . أرض التى جعلتنى لاجئا رغما عني .. رغما عنك .. كل  
ما حدث كان رغما عنا .. رغما عنا .

أمير المؤمنين .. مولاي هذه حكايتى . حكاية التائه الغريب الذى لفظ  
أنفاسه فوق صدرى . حكايتنا جميعا . قصة كل لاجئ . كل شريد فى وطنه .  
كل ضائع خارج بلده . وداخل بلده . قصة كل من طاردته الكلاب . فتعذب .  
وتشرد .. وما فقد الآباء .

هل سمعت بحكاية اللاجئ، التعيس الذى راح شهيد الكبرياء ؟؟ كلمة ..  
همسة .. كان لا بد أن أرسلها مع الأنسام اليك .. أسمعتها أم لا ؟ لا يهم ..  
لكن حتما ستردها الأصداء رغما عن الجميع ستردها الأصداء ...

الجو هادئ . لا نباح . لا عواء . صمت رهيب . سكون . سكون . ماذا ؟  
هل ماتت كل الكلاب ؟ أخيرا .. أم يا مولاي استنفقت من نعاسك وطردت كل  
الكلاب ؟ أم أنها معك .. ما تزال مع السلطان يتشاور معها على ... ماذا بعد  
يا مولاي ؟ ماذا بعد ؟

حياة بن الشيخ

## دراسات في القصة التونسية

المؤلف : عمر بن سالم

النوع : رواية ( قصة طويلة )

الناشر : دار صفاء للنشر والتوزيع والصحافة

تاريخ الطبع : أوت 1980

الحجم : 21 / 13,5 / 199 ص.

### I - تقديم الكتاب :

قسم الكاتب قصته هذه الى مجموعة من الفصول ( 42 فصلا ) تتفاوت طولا وأهمية في تطوير الحدث القصصى . وكانت الوظيفة الاساسية لهذا التقسيم هي إبراز مواقف الشخصيات وأفكارها وتكوين الكاتب من اقتطاع مساحات زمنية معينة من مواقف الشخصيات وإعادة تركيبها حسب النسق السردى الذى ارتآه فى عرض الأحداث وفى تازيمها للوصول الى النهاية المنفرجة .

I - I - تلخيص الأحداث : يعود صالح الى القرية بعد أن تخرج عونا فنيا فى فترة تعميم التعااضد الفلاحى ، وبعد أن تحتفى العائلة بعودته يشرع صالح فى الدخول من جديد فى وسطه الريفى فهو يكتشف فى نطاق العائلة ما يعانيه أخوه وكذلك « الحماس » فى الاعتناء بالغابة . وكذلك يجد « جميلة » ابنة حامد الربعى التى يركز عليها أحلامه وآمال مستقبله ( رغم تفاوت الوضعية الاجتماعية بينهما ) قد عادت فى نهاية السنة المدرسية الى القرية أيضا . وفى مقهى القرية يطلع على الفراغ الذى خلقته هجرة سواعد القرية العاملة الى معامل فرنسا من فراغ فى القطاع الفلاحى بعد أن نضببت مياه الواحة . وتكون الاشاعات تروج عن تفكير الحكومة فى تجميع الاراضى الفلاحية لتوفير المياه داخل الواحة . وتتأكد الاخبار لديه عندما يذهب الى زيارة « سى البشير » المعتمد الذى يطلعه عن حاجة عون فنى فى مثل اختصاصه لتسيير مشروع

التعاضدية الفلاحية النموذجية التي قررت الحكومة بعثها لانقاذ الوضع الفلاحي في الواحة . ويقبل صالح العرض الذي قدمه له المعتمد اذ كان يرغب في العمل قريبا من قريته . ولكن يتطلب منه اقناع والده الذي مثله مثل غيره من الفلاحين يرى في تدخل الحكومة انتهاكا للاراضى لكي يعاد توزيعها في نطاق اشم . ويبدأ صالح باقناع والدته بضرورة مساندته بالتدخل لدى والده لاقناعه بعدم معارضة قبوله لهذه الوظيفة . كما يتطلب ذلك منه ايضا عملية اقناع واسعة النطاق لتغيير الافكار يبدؤها بأخيه ثم يمر الى حامد الربيعي والد جميلة الذي يتلقى به عند دكان القرية . وبعد الاجتماع الذي ينتظم بالعمدية لتفسير أهداف المشروع وطرق تنفيذه يعمل رئيس البلدية من وراء حامد الربيعي وغيره من المعارضين ( في الحفاء ) على التسبب في فشل المشروع الذي يتحمس له صالح بكل امكانياته . وعندما يأتي الوالى لتدشين التعاضدية الجديدة تنتظم مظاهرة يتزعمها حامد الربيعي ويتم ايقاف المناهضين المتظاهرين ثم ينقلون الى مقر الولاية وبذلك تبيت القرية في غم من أجل ابنائها . ومن الغد يتكون وفد من اعيان القرية لمقابلة المعتمد والتشفع لديه لفائدة الموقوفين . يحيل المعتمد الوفد الى الوالى الذي يستقبلهم باللوم وبتقريع الموقوفين وفي النهاية يتجج الوفد في مهمته ويطلق سراهم وتعود المسرة الى القرية ويعود الرشد لبعض المناهضين مثل حامد الربيعي الذي يتحول الى متحمس لمشروع التعاضدية ويكلف بالاشراف على احدى الحضائر لكن رئيس البلدية والمعارضين الآخرين الذين يعملون في الحفاء يتدخلون مباشرة لدى السلطات المسؤولة في الدوائر العليا لكي لا تصرف الحسابات والاجور . وبعد ان يتم اقتلاع جذوع النخل المسنة وتشق السواقي لوضع القنوات الجديدة ويبنى مكان آلة الضخ يكتشف صالح ان الحسابات لم تصرف وان المتعاضدين قد ملوا انتظار اجورهم وينذر المشروع بالانتهاء الى الفشل . وعندما يأتي الخبر بأمر ايقاف العمل التعاضدى وتأجيل اقامة التعاضديات المثالية للمخطط الموالى نظرا لاعتبارات مالية غير ملائمة ينهار صالح تحت تأثير الحيرة .. وتفسر القرية نهاية التعاضدية الفلاحية كل من وجهة نظره الخاصة ويبقى صالح ينتظر موعد تعيينه للعمل في مؤسسة أخرى الى ان يلحق بضبيعة تابعة لاراضى الدولة بفار الملح . ويودع صالح جميلة في انتظار اتمام سنتها الدراسية الاخيرة بالمعهد ثم يودع العائلة في صباح ذات يوم وينطلق الى مقر عمله .

١ - ٢ - خصائص الاحداث : الاحداث فى هذه الرواية واقعية عادية تسلسلية تصاعدية تبدأ عند الشروع فى الاعداد لانشاء التعاضدية الفلاحية المثالية وتتوسع فى بسط مختلف المراحل التى مرت بها التعاضدية منذ تكوينها مروراً بالصعوبات التى اعترضتها لى تنتهى الى الفشل فالرواية من هذا المفهوم « رواية حدث » ويتمثل هذا الحدث فى « تركيز تعاضدية فلاحية » ومن زاوية أخرى تقدم الرواية مجموعة من الشخصيات تربطها علاقات تكون أساسية فى تطوير الحدث أو هامشية على جوانبه . ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار الرواية « رواية شخصيات » . وانطلاقاً من الحدث ومن الشخصيات التى استعملت لبلورة مختلف مراحلها يمكن تقسيم الاحداث فى هذه الرواية الى :

- حدث رئيسى : تدور حوله الحركة الأساسية للرواية ويمثل عمودها الفقارى أو محورها المركزى وهو حدث « التعاضد الفلاحى فى القرية » .

- أحداث ثانوية : تهم شخصية أو أكثر من شخصيات الرواية وتتركز حول موقف ما من مواقفها تواجه به شخصيات أخرى .

وتقسيم الاحداث فى هذه الرواية يفرض بدوره تقسيماً للشخصيات الى :  
- شخصية رئيسية هى التى تقترن بالحدث الرئيسى ( صالح ابن الحاج محمد ) وتعمل على تطويره .

- شخصيات ثانوية : ترتبط فيما بينها من خلال الاحداث اما كصدى للحدث الرئيسى أو هى متمركزة أساساً حول الشخصيات الرئيسية ومواقفها التى تصدر عنها كرد فعل لمواقف هذه الشخصية الرئيسية ولافكارها .

فالاحداث فى هذه الرواية هى اما :

- أحداث خصوصية ذاتية تتعلق بشخصية بعينها دون غيرها .

- أو أحداث عامة شاملة تهم مجموعة الفلاحين بالقرية .

وهى من زاوية أخرى :

- أحداث أصلية أساسية تتعلق بالحدث الرئيسى وتنميته .

- أو هي أحداث فرعية ثانوية على هامش الحدث الرئيسى ولا تهم الا شخصية بذاتها .

١ - 3 - **تطور الأحداث** : تتطور الاحداث خلال هذه الرواة فى شكل مواقف من البداية فى اتجاه التآزم ثم الانفراج . وهى فيما بينها قد تتطور متوازية حسب المستوى الذى تطرح عليه ( مستوى المجموعة أو مستوى الفرد ) والامثلة على ذلك متعددة

### المستوى الجماعى

القرية تشكو عطش واحتها وهجرة سواعدها وتنتظر الانقاذ ( حاجة القرية لنقذ ) .

التعاضدية تتعرض للمعارضة ( عائق ) .

التعاضدية تتجسم فى شكل حضائر ( نجاح ) .

اعتقال المتظاهرين المعارضين لبعث التعاضدية ( عائق ) .

القرية حزينة لايقاف ابنائها ( حزن ) .

القرية تستبشر لعودة المعتقلين ( فرح ) .

### المستوى الفردى

صالح يحب جميلة ويفكر فى الاقتران بها ( حاجة صالح الى الحب ) .

صالح يصدم بمعارضة والد جميلة ( عائق ) .

صالح ينجح فى اقناع والده ( نجاح ) حامد الربعى يمنع ابنته من الخروج ( عائق ) .

جميلة تجزع لايقاف والدها ( حزن ) .

جميلة تهرع للقاء صالح بعد اطلاق سراح والدها ( فرح ) .

لكن هذا التوازن لا يتوصل ان يرسم بوضوح فى مختلف مراحل الرواية بل يبقى فى مستوى خطوطها الاولى فقط ويتجسم فى الشروع فى إنشاء التعاضدية الفلاحية على مستوى القرية ثم تأجيل المشروع للمخطط الموالي ومن ناحية اخرى فى التخطيط من طرف صالح للاقتران بجميلة ابنة حامد الربعى ثم تأجيل ذلك الى نهاية السنة الدراسية الموالية نظرا لتداخل الاحداث فى حياته نتيجة فشل التعاضدية .

فبقطع النظر عن هذين الحداث اللذان يقتزمان لكى ينتهيا الى نهاية وقتية مؤجلة ، فان كل الاحداث الاخرى فى القصة تبدأ عند بداية واضحة وتنتهى حسب منطق عادى الى خاتمتها التى أرادها لها الكاتب . وهذه الاحداث ذات نسق عادى يرتبط أساسا بمقياس الانسان للزمن . ويتضح من كل ذلك ان هذه الاحداث لا تعرف أكثر من محورين تتطور عليهما .

– المحور الجماعى : وهو يستقطب كل ما يهم القرية من احداث عامة ( نقص مياه الرى ، تكوين التعاضدية الفلاحية ، اعتقال المتظاهرين ، عدم صرف اجور العملة ، فشل التجربة التعاضدية ... الخ . ) . وبعض ما يهم البلاد فى مجموعها ( اختيار التعاضد كاتجاه اشتراكى لبناء الاقتصاد ، تأجيل بيع التعاضديات المثالية للمخطط الموالى ... الخ . ) .

– المحور الفردى : وهو يستقطب أساسا ما يهم صالح ابن الحاج محمد ( التوظيف ، التعلق بجميلة ، السعى لانجاح مشروع التعاضدية ، الانتقال الى خارج القرية للعمل ... الخ . ) .

ورغم أن الرواية تبدأ باحداث المحور الفردى ( عودة صالح الى القرية وتحسمه لوضعه ) الا أن الاحداث المتعلقة بالمحور الجماعى تصبح طاغية خلال مختلف مراحل الرواية ( اذ هى تهم 28 فصلا من جملة 42 ) وبذلك يتضح ان احداث المحور الفردى انما اتخذت كخلفية لابراز الروابط الاخرى ( روابط عائلية ، روابط مصالح اجتماعية ) التى لها انعكاس على الحدث الرئيسى الذى يهم كافة المجموعة وبذلك كان استعمال هذه الخلفية ذات البعد الفردى ضرورة تقنية تمكن الكاتب من عرض البعد الاجتماعى لهذا الحدث الاساسى الذى هو موقف سياسى بالدرجة الاولى .

## 2 – الشخصيات وعلاقاتها :

اذا كان تصنيف الاحداث قد مكن من ابراز محورين تتطور عليهما مواقف الشخصيات وافكارها فان هذه الشخصيات تبقى فى حاجة لكى يمكن تصنيفها كشخصيات نموذجية أو كشخصيات متفردة. ثم إن هذه الشخصيات من خلال العلاقات التى تربطها فيما بينها تتضح كشخصيات مكيفة للحدث أو خاضعة له .

## 2 - 1 - تصنيف الشخصيات :

2 - 1 - 1 - الشخصيات النموذجية : الشخصيات النموذجية هي الشخصيات التي ترتبط برد فعل معين في موقف ما تلتزم به كلما دعت الضرورة لوقوفها ذلك الموقف . ومن بين هذه الشخصيات النموذجية التي امكن ضبط ملامحها وميزاتها ما يلي :

- شخصية الأم : تتمثل شخصية الأم في هذه الرواية في محبوبة والدة صالح فهي الأم العطوف على أبنائها تغطي على عفواتهم لكي لا يتعرضوا لعقاب والدهم وهي الأم التي تهتم بصحتهم وترجو لهم الراحة والهناء ترى حياتها وسط أفراد عائلتها لا تطيق فراقهم وتحاول اسعادهم عن طريق ما تقدمه لهم من طبخ جيد وما تبدي به نحوهم من اهتمام .

شخصية الأم هذه تبقى متفردة في هذه الرواية لا تتجسم الا في شخص « محبوبة » هذه هي لا تعكس من الأم الا جانب التفاني في خدمة أبنائها وزوجها والسعى من أجل سعادتهم وضمهم تحت جناحيها وبذلك تكون هذه الشخصية مسطحة لا عمق فيها اذ هي النموذج التجسيمي للام التقليدية التي لا ترى معنى وجودها الا في ضمان اجتماع شمل عائلتها .

- شخصية الأب : تتمثل شخصية الأب في كل من الشيخ الحاج محمد والد صالح وفي حامد الربعي والد جميلة . ومن خلالهما تبرز جوانب السيطرة والسلطة في المنزل فالحاج محمد كان دائما ذلك الأب الذي يعنف أبناءه ويحرمهم من الخروج من المنزل متى غضب . يريد لابنائه الاختيار الذي يراه لنفسه ( كان الحاج محمد يرغب في أن يتخرج ابنه عبد الحفيظ من جامع الزيتونة ) يفرض في العائلة مناخ الخشية من غضبه وتخوف الآخرين من ازعاجه . وكذلك حامد الربعي يكون ذلك الأب المتشدد ازاء ابنته الوحيدة جميلة لا يريد لها ان تتغيب خارج المنزل بعد صلاة العشاء يعنف من أجل ذلك زوجته ويتهمها بالتراخي في تربية ابنتها . يتحسب كلام الناس الذي يقال في عرضه ويسعى لكي يوفر لعائلته ما يقياها غوائل الدهر وذئاب البشر .

هذا الجانب من شخصية الأب الذي يبرز في صورته التقليدية كآب شديد مع أبنائه وزوجته يسعى لمصلحة أفراد عائلته كما يراها هو وليس كما قد تكون مستجيبة لأمزجتهم ومعطيائهم الخاصة لا يبرز الا ذلك الجانب التقليدي

من شخصية الأب الطاغية المتحكمة وهو ما يجعل من الأب متصرفا في مصالح أفراد العائلة أكثر مما هو أب يحس بالانتماء الى عائلته .

- **شخصية المسؤول السياسي** : وتتجسم هذه الشخصية في كل من المعتمد والوالى ورئيس الشعبة . وتبدو الملامح النموذجية لهذه الشخصية في شكل مسؤول يعتبر نفسه أقدر من الآخرين على فهم الأمور وتمييز الصواب عندما تختلط السبل مما يجعله يسمح لنفسه بتوجيه الآخرين سواء اكان ذلك بالاعتناع الدعائى أو الزجر . وموقف المسؤول السياسى هذا ينبعث من شعور عميق بأنه على حق ما دام يعتبر أن التوجيهات التى ابلغت اليه هى وحدها التى تراعى معطيات الوضعية لذلك لا يتطرق الشك اليه بأنه قد يخطئ، عند تفسير هذه التوجيهات أو انها قد تكون عامة وشمولية لا تنطبق على خصوصيات الوضعية التى يعالجها . ونتيجة لهذه المنطلقات فى تفكير شخصية مثل هذه نراها تعتمد كثيرا على موقف الانسان يبلغ ويعتبر مسؤوليته تنتهى عند التنفيذ ولا تتجاوز ذلك . ويكون يسعى الى ان يوضح ما طلب منه بتليفه دون ان يسمح للآخرين بالحوار لان الحوار يعنى فقط التوضيح بالنسبة اليه . ثم هو يستعمل حملا تبليغية معينة تدرك بالبحرلة ودراسة نفسية المخاطبين فهو يسمى الى ان يشهد الاسماع اليه عندما يلاحظ تشتت الانتباه ويورد كليشيات «خطابية» توجب ضرورة التصفيق فى القاعة الى غير ذلك ...

وإذا كانت جوانب هذه الشخصية تتميز أكثر بوجهتها السياسية الدعائية فى شخص رئيس الشعبة فانها عندما تنتقل الى شخص المعتمد أو والى نجدها تستمد قوتها وثقتها فى موقفها من القانون الذى تمثله ومن هيبة النظام والدولة التى تمثلها لذلك نجدها ايضا تبرر استعمالها للطرق التعسفية ( كالتهديد والسجن ) بضرورة المحافظة على ناموس الدولة . وفى مثل هذا الموقف تكون هذه الشخصية تنتظر من مخاطبيها اما الموافقة النامة أو الانحياز الكلى الى الموقف الذى تدعو اليه أو على الاقل التظاهر بذلك .

- **شخصية « الحماس »** : شخصية الحماس فى هذه الرواية هى شخصية الانسان العامل الضعيف « البروليطارى » الذى يسعى الى قوت يومه دون أن تتجاوز آماله ذلك . وان كان الكاتب قد استعمل فى روايته لفظة « الأجير » فان هذه الشخصية تبدو فى صفة « الحماس » الذى يعيش مع العائلة يقاسمها



حيزها وحياتها ويعمل لفائدتها . وتمتاز هذه الشخصية - كما يتضح ذلك من الرواية - بمعرفتها لكل الاشغال الفلاحية وبطبايع الانعام التي تتعامل معها مما يكسبها تخصصا لا يتوفر عند غيرها يتحول الى امتياز . وتجد هذه الشخصية في استعداد الآخرين للاستماع اليها ما يثبت لها مكانتها بين افراد العائلة وينسبها ولو وقتيا انسحاقها الاجتماعي . وتكون شخصية « الحماس الأجير » في هذه الرواية من جملة الشخصيات الباهتة الملامح التي وقع التعرض اليها صدفة وبلا تركيز مما جعلها تبقى سطحية هامشية تذوب في خضم الاحداث دون أن تتطور أو تلعب دورا في تصعيد الصراع بين المتحمسين للتعاقد والمناهضين له رغم كل ما يمكن في ثناياها من ملائمة تمكنها من فرض وجودها ومن التنفيس عن عقدها وانسحاقها .

**- شخصية المناهض للتعاقد :** تتوزع ملامح هذه الشخصية على عدة اشخاص ولكن أبرز من يمثلها هما حامد الربعي ورئيس البلدية فاما حامد الربعي فهو صاحب هنشير يرى في التعاقد تضيقا عليه ما دام يفرض عليه العمل مع مجموعة ليس لها نفس الاستعداد ونفس التحمس لخدمة الارض وصيانتها ثم هو من ناحية أخرى يؤمن بأن في دفع الضرائب وارتفاع نسبة الاداء عن القرض كفاية من المضايقات ولا يفهم لماذا يكون التعاقد اشتراكية على أمثاله من العاملين الكادحين لكي يمكن « الادمغة المسيرة » من التبرجز وبذلك لا يستفيد من التعاقد الا الانتهازيون المتشدقون بالاصلاح والتشبيد، فهذه المعارضة التي يجسدها حامد الربعي هي معارضة مواجهة وصدق ترى في عدم توفر العدالة قلبا للمفاهيم لذلك تقف موقف المواجهة المباشرة لكي تطالب بالعدالة في التطبيق .

اما الجانب الآخر من شخصية المناهض للتعاقد فيتجسم في شخص رئيس البلدية الذي ينتمي أيضا لمجموعة كبار الملاكين في القرية والذي يرى في خدمة الارض ما يوفر له المركز الاجتماعي وكذلك وسيلة للربح والاستغلال ولكن مناهضته لانشاء التعاقدية لا تكون مواجهة مباشرة بل هي مهادنة وتثبيط للزنايم . فهو لا يقف في وجه التيار ولكن يجاريه في الظاهر لكي يعمل على معاكسته في الخفاء بخلق المصاعب أمامه عند التطبيق . وهو يرى كل الوسائل مشروعة لذلك بما في ذلك تلك التي يوفرها له مركزه الاجتماعي وعلاقاته الاجتماعية السياسية وكذلك موارد أرضه . ثم هو يعتمد كثيرا على

أمثال حامد الربيعي من الاندفاعيين الصادقين لكي يكونوا الواجهة التي يصطدم بها التعاضد . وعندما يتبين فشل تلك الواجهة يستعمل طرقا أخرى أكثر فاعلية ونكتما لكي يبقى دائما حجر العثرة الذي ينتهي بالمشروع التعاضدي الى الفشل .

- **شخصية امام القرية :** هذه الشخصية تتمثل في الحاج محمد والد صالح . وهذا الأب الذي برز جانب من شخصيته كأب صارم مع ابنائه يبدو في وجهه الثاني بقناعه الديني كامام لجامع القرية له على السكان سلطة روحية كان يأمل أن يرثها عنه ابنه الأكبر . تبدو أفكار هذا الامام مرتبطة أشد الارتباط بالتكوين التعليمي الذي تلقاه على الطريقة السلفية فهو يرى في الاصلاح ادعاء مزعوما ويتهم مشائخ العصر بالكفر والزيغ والتنكر للدين ، استهوتهم المدنية الغربية وجرفهم تيار العصر . ثم هو لا يؤمن الا بجهود من عاصرهم من الاوائل الذين يقتدون بالسلف الصالح يرى في اقتباعه للسنة الحميدة كالحج مشيا على الاقدام ضرورة لكي تستقيم الامور في حياته . فهو يحافظ على الصلاة في مواعيدها ويرى في الارشاد والوعظ هدفا ، زاهدا في الدنيا ، مقبل على العبادة ، يستعمل سلطته الروحية للتدخل بالحسنى عندما تحتاج القرية اليه لكي يتشفع لدى المعتمد ثم لدى الوالي لاطلاق سراح المسجونين من المتظاهرين .

من مجموع هذه الشخصيات النموذجية يتضح ان منها ما هو كلاسيكي عادي لا جدة ولا تطور فيه كشخصية الأب أو شخصية الأم لذلك بقيت تلك الشخصيات مسطحة وغير موظفة تمام التوظيف في تطور الحدث الرئيسي . تأتي أهميتها من مستوى بعض الاحداث الثانوية لكي ترسم المناخ النفسي والاجتماعي الذي تتحرك فيه الشخصية الرئيسية .

اما شخصية « الحماس / الأجير » فتبقى في هذه الرواية شخصية باهتة الملامح لأنها لا تتجاوز واقع يومها ولا ترى في وجودها هدفا أكثر من ضرورة التحصيل على القوت ، تعيش على بعض ذكرياتها المشرقة . وهي شخصية لم يوفر لها الكاتب مجال النمو وتجاوز احداث المعيشة البسيطة الى المشاركة في الاحداث العامة رغم توفر المجال لذلك اذ ان تآزم الوضع الفلاحي وفرصة تجميع الاراضى يمكنان مثل هذه الشخصية من فرصة البروز لتحسين الوضع

الاجتماعى الذى تعانى منه وللتخلص من وضعية الشغل التى لا توفر أكثر من القوت .

بقى أن نشير الى ان فى شخصية امام القرية الكثير من الاكتناز مما كان يسمح باستغلال هذه الشخصية أكثر مما فعل الكاتب ذلك .

وتكون شخصية المناهض لسياسة التعاضد ، رغم توزيعها فى عدة شخوص ، أكثر الشخصيات النمطية نجاحا وأكثرها تطورا وتوازنا .

اما شخصية المسؤول السياسى التى تتوزع هى ايضا على عدة شخوص ، فقد بقيت فى حاجة الى الكثير من التعميق لكى تجابه نفسها بسؤال مصيرى عندما تصدم بالمعارضة أو بالفشل . ورغم كل ما فى هذه الشخصيات من جوانب ايجابية وجوانب سلبية ورغم ما قد يكون فيها من قصور فان ما يلاحظ فى خصوص مجموعها هو حاجتها فى اغلبها الى التطوير . فهى بدأت مجرد « شخصيات مواقف » . اى ان الكاتب اراد ان يجعل منها شخصيات تحمل هدفا معينا لا تتجاوزها الى غير ذلك كان اغلبها احادى الابعاد وذلك ما جعل بعضها يبدو مسطحا . ثم ان منها ما وقع استدعاؤه فى خضم الاحداث لكى يلعب دورا بسيطا لا يتجاوزها الى غير ذلك ثم يختفى بعد ذلك لان الاحداث الموالية لا تتطلب وجوده وهو ما جعل هذه الشخصيات بلا خلفية .

2 - I - 2 - الشخصيات المتفردة : الشخصيات المتفردة فى هذه الرواية هى تلك التى لا تخضع فى تصرفاتها وفى مواقفها الى نمط معهود لدى القارى ، فهى تتحرك حسب تطور الاحداث فى القصة وما يمليه عليها ذلك من تفاعل معها . وهى حسب هذا المفهوم لا تنطبع فى ذهنية القارى كشخصية متميزة مستقلة بذاتها يمكن أن تغير اسمها ومحيطها لكنها تبقى محافظة على خصائصها :

الامثلة على هذه الشخصيات المتفردة متعددة فى هذه الرواية أبرزها :

- شخصية صالح ابن الحاج محمد : تنعكس كل الاحداث ومواقف الشخصيات الاخرى من خلال ردود فعله تجاه ما يقع حوله ولكنه يبقى فى النهاية ذلك الشاب الذى يرتبط بالقرية بروابط انتماء عائلية وعاطفية بحيث تمثل القرية فى حياته فترة طفولته وبداية شبابه قبل أن تحتضنه المدينة لانها ، تعليمه الذى اختتمه بشهادة عون فنى فى الميدان الفلاحي . فهو رغم كل

ما فى وسطه العائلى من ملامح شخصية تميزه عن أخيه عبد الحفيظ عند مواجهته لصرامة الأب ومعاكسته له إلا انه عندما يعود الى القرية لكى يواكب انطلاق الحدث الرئيسى الذى هو أحداث تعااضدية فلاحية نموذجية يبدو منساقا مع الاحداث التى تجرفه . فهو يقتنع - كما أراد المعتمد ذلك - بأنه أنسب من يشرف على حظوظ هذه التعااضدية الجديدة وهو ، يجد فى عواطفه القديمة نحو جميلة ابنة حامد الربعى ما يكسب حياته العاطفية الامتلاء الذى هو فى حاجة اليه بعد الحواء الذى تركته فى نفسه المدينة . ثم هو فى النهاية يكتشف تعقد اللعبة التى شارك فيها ورغم كل ما فى موقفه من تحمس وحسن طوية إلا أنه لا يجد مقرا من الالتحاق بمكان عمله الجديد للاشراف على ضيعة تابعة لأملاك الدولة .

وكحصوله للاحداث وموقف هذه الشخصية منها تكون خيبته التى هى فى نفس الوقت خيبة تيار أعم من التفكير ومن ارادة التغيير نوعا من الاحباط لنموذج من الشباب يكتشف أنه لا يمكن أن يبنى حياته انطلاقا من امكانياته وحسب النموذج الذى أرثاه مما يجعله يتساءل فى النهاية هل رغم كل ما يبدو فى مواقفه من حرية التصرف لم يكن مجرد عنصر فى وضعية معقدة تحركها اصابع خفية أقوى مما يمكن أن يتصور وهل أن خيبته الباكورة لم تكن بالنسبة لمصالح أولئك الذين وقفوا فى طريق حماسه مجرد موقف شخصى لا أهمية له فى ميزان الاحداث .

- **شخصية جميلة ابنة حامد الربعى** : تبدو هذه الشخصية فى صورة فتاة ترتبط بالقرية بروابط انتماء عميقة تفييها المدينة خلال فترة السنة الدراسية فى ذلك المعهد الذى هو ليس أكثر من مكان للتعليم لكى تعود بعد ذلك الى القرية التى توفر لها ذلك الحب المثالى خلال العطلة الصيفية وهو ما ينسبها وقتيا قسوة الأب وسجن التقاليد وتكون تتصور فى الزواج بفارس احلامها نهاية سعيدة لذلك الحب وتخلصا من سجون عديدة ( قسوة الأب ، قسوة التقاليد الاجتماعية فى القرية ، حياة المعهد ... الخ . ) وهى من خلال موقفها من صالح تبدو فتاة تصارع مشاعر مرحلة المراهقة وتكون حياتها لا تعرف من الصعوبات ما يعود على تفكيرها بالشعور بمفارقات وضعها . ويأتى الحدث الوحيد الذى يعكر صفو هذه الحياة والمتمثل فى ايقاف والدعا عند مشاركته فى المظاهرة . ولا يكون فى وسع جميلة الا مجابهة هذا الحدث بدموع الانثى

الضعيفة .. ثم عندما يعود الأب بعد ذلك يتضح أن ذلك الحدث لم يكن أكثر من سحابة صيف تنقش لكى يبقى ذلك الحب الذى تريده الفتاة أن ينتهى الى التقارب بين العائلتين . وعندما ينتهى مشروع انشاء التعااضدية الى الفشل وتقترب نهاية العطلة الصيفية التى جمعت بين جميلة وصالح تؤجل الاحداث فى حياتهما العاطفية الى نهاية السنة الدراسية المقبلة فى استكانة عاقلة يدعما تفاؤل الانسان الذى يتصور أن النهاية ستكون أفضل دائما .

– **شخصية سعاد أخت صالح :** تبدو هذه الشخصية أيضا فى صورة الفتاة التى ترتبط بالقرية نظرا للانتماء الكلى ولا تتجسم المدينة فى حياتها الا فى صورة ذلك المعهد الذى يضمها اثناء السنة الدراسية . تكون هذه الفتاة تخضع لقسوة التقاليد وصرامة الأب . لا تتميز حياتها الا بذلك الانحياز الذى تبديه لفائدة صديقتها جميلة فهى تبدو من خلال مساعدتها إياها على الالتقاء بصالح كمن يبحث فى سعادة الآخرين عن متعته الخاصة . ولعل فى ادمانها المطالعة وفى اتكالها فى حياتها اليومية على والدتها ما ينسبها فقر حياتها العاطفية لذلك تجد فى المناخ العائلى وفى العالم التخيل الذى توفره لها الكتب ما يكسب حياتها التوازن الظاهري الذى هى فى حاجة اليه .

– **شخصية عبد الحفيظ ابن الحاج محمد :** هو الابن الأكبر للعائلة شابه الأب تواصلا لتفكيره ولشخصه لكن معطياته الخاصة والظروف لم تساعد على تحقيق ذلك وكانت النتيجة ان أصبح يجد فى حياته تحت جناح والده ما يحقق له تلك الرعاية التى تنسيه انه لم يتدرب بعد على مجابهة الاحداث بنفسه . ورغم انه متزوج الا ان مسؤولية الزوجة تبدو وسط اطار العائلة قد وضعت على غير عاتقه وتبدو حياته مجرد خضوع متواصل لرغبة والده وللقدر الذى لم يفتح الباب امام مطالبه للتوظيف مما جعله يولى اهتمامه نحو ارض السانية يساعد على خدمتها ويقتنع تدريجيا أن مكانه هنا فى القرية وليس وراء مكتب ما يكون بذلك يحاول أن يخفى فى اعماقه مرارة الحيبة التى تطفح احبانا نقمة على رتابة الادارة وعدم تصديق لما تروجه السياسة ولكن هذه النقمة لا تتجاوز غالبا حد التعاليق المحتشمة .

رغم توفر شخوص أخرى فى هذه الرواية الا أنها تبقى هامشية قد لا تمثل أكثر من عناصر تأطير للاحداث فى إطار القرية أو فى نطاق العائلة . فاذا كانت الشخصيات المتفردة هى نفسها تشكو الكثير من التسطح مما يجعل

واقعية مواقفها مبالغا فيها ويكسب تصرفاتها تقريرية سردية رتيبة فان طبيعة الحدث نفسه لا يمكن أن تسمح لهذه الشخصيات بالكثير من العمق خاصة عندما يكون البعض منها هامشيا تماما بالنسبة للحدث الرئيسي . وفي هذا الاستنتاج ما يؤكد أكثر استقطاب موضوع التعاضد لاهتمام الكاتب وطفانيته على التحليل النفسي الاجتماعي للشخصيات . فالحدث الرئيسي يبدو ذا أهمية خاصة ويوفر حركية أكبر نظرا للوضعية الصراعية التي يوفرها بين المتحمسين للمشروع والمناهضين له اما الاحداث الاخرى التي تتمحور حول العلاقات العائلية أو العاطفية فهي هامشية قد لا يتبرر وجودها دائما .

ولعل مما يوحد هذه الشخصيات في الكثير من مواقفها هو تقبلها للاحداث بكثير من الطيبة والاستكانة . وكان ما يحدث لا يمسها مباشرة أو كأنها غير قادرة على مواجهته بالعنف . وهذا ما جعل الكاتب لا يفاخر بوضع شخصياته في مواقف صعبة تصيح عندها الحلول غير تراجعية بل نراه يسعى دائما من خلال مواقف هذه الشخصيات الى ايجاد الحلول التوفيقية إما لان طبيعة الحدث لا تكتسي أهمية أساسية أو لان الشخصية نفسها غير مهيأة لرفض معطيات وضعها القسري .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

2 - 2 - العلاقات بين الشخصيات : العلاقات في هذه الرواية على صنفين :

- علاقات أساسية .

- علاقات ثانوية .

فاما العلاقات الأساسية فتتمحور حول الحدث الرئيسي وحول الحب القائم بين صالح وجيملة . واما العلاقات الثانوية فهي على هامش هذين الحدثين تأتي لكي تقوم بين شخصيتين أو بين مجموعة من الشخصيات لكي ترسم ابعاد العلاقات التقابلية كما يتطلبها الحدث الرئيسي أو ابعاد التعاطف الاجتماعي والعائلي كما يستدعي ذلك الوسط القروي الذي يمثل اطار الحركة .

2 - 2 - 1 - العلاقات الأساسية : وهي ذات الاهمية الاولية في تطوير

الحدث في الرواية :

- العلاقات التقابلية : وهي هنا تقوم بين الشخصيات التي تتجه تصرفاتها نحو تطوير الحدث الرئيسي . وتقوم هذه العلاقات بين شخصيات فردية أو

شخصيات جماعية وهي - أساسا - علاقات تصارعية بين مناهضين لانشاء التعاضدية الفلاحية ومتحمسين لذلك . ويكون هذا الصراع تصاعديا تدريجيا يمر من الفردى الى الجماعى ومن الفكرة الى الكلمة ثم الى المواجهة . وتكون المواجهة مباشرة او مقنعة وظاهرة او مستترة نظرا لعدم توازن القوى او لضرورة التستر لان مبدأ الصراع لم يتفق عليه من الجانبين .

فالعلاقات الفردية فى هذا المجال تبدو فى البداية غائمة وتتمحور حول الفروق الاجتماعية فى القرية قائمة بين أولئك القادريين على تدارك عطش ارضهم وبين غيرهم الذين لا يتوصلون الى إروائها وبين الفقراء فيها والاغنياء. ثم يستقطب هذا النوع من العلاقات التقابلية شخص صالح بن الحاج محمد لانه يهوى جميلة ابنة حامد الربعى الذى هو من طبقة اجتماعية غير تلك التى تنتمى اليها عائلة الفتى . ثم ان حامدا هذا فلاح جاد مرتبط بالارض اما الحاج محمد فهو امام متعلم فوضعية التقابل هذه بين الساعى وراء المسحاة والمرتزق من علمه واضحة وأولية . وبدخول صالح حلبة الصراع من خلال عزمه على التحمس لموضوع التعاضدية الفلاحية تتواصل الوضعية التقابلية بين من يخدم الارض بساعده ومن يريد ان يغيرها بعلمه .

وكمثال آخر لهذه العلاقات التقابلية الفردية وضعية الاجير وصاحب الارض ووضعية الساعى وراء التوظيفة وذلك الذى تعرض عليه ( عبد الحفيظ صالح ) وهى وضعيات أولية تضع الشخصيات فى مواقف تقابلية منها ما ينتهى الى التصادم عند تعارض المصالح ( كالتصادم الذى تم بين حامد الربعى وصالح ) ومنها ما يبقى كامنا ما دامت العلاقات الاخرى هى المهيمنة ( كما هو الحال بين الأجير وصاحب الارض ) .

اما العلاقات التقابلية الجماعية فتتمثل فى الفلاحين من جهة وممثل السلطة من جهة أخرى ( كالمعلم والوالى ) . فأحد الشقيين ممثل للنظام وحارس له والآخر خاضع له أو تآثر على بعض قراراته وهو ما ينتهى الى وضعية مواجهة يكون من الضروري أن تنتهى الى الخضوع لمقانون والى تغلب النظام نظرا لما فى هذه الوضعية التقابلية من عدم توازن أولى .

وكمثال آخر لهذه العلاقات التقابلية الجماعية نجد المتحمسين لاقامة التعاضدية والمناهضين لها فى نطاق مجموعة سكان القرية وذلك هو محور الحدث الرئيسى . ورغم أن المواجهة فى هذه الحالة لم تستهدف الصراع

المباشر بين عناصر المجموعتين وانما استهدفت موضوع الصراع الا ان المواجهة كانت تنتهى فى شكل مشادات كلامية أو توتر علاقات حسن الجوار .

وتبقى هذه العلاقات التقابلية الجماعية متميزة بأنها اختيار اول من الكاتب لوضع يبرر به تصرف الشخصيات عندما تتحول بعد ذلك من الوضعية التقابلية الى الوضعية الصراعية . ومما يلاحظ حول هذه العلاقات التى تضع مشكلا أساسيا وهو موقف المواطن من السلطة انها قد وضعت فى نطاق الوضعيات التى تتازم لكى تنفجر بعد ذلك دون أن تبلغ العلاقات حد القطيعة اذ هناك دائما مجال للتراجع عند حد ما ومجال الزيفان لمواجهة مستترة أكثر جدوى . وهذه المعالجة للاحداث تعتمد مبدأ الارزاء والتأجيل الى مرحلة مواتية مما مكن الكاتب من عدم الفوص فى طبيعة الصراع الذى يقوم هنا من أجل الماء والارض والذى كان يمكن أن يعمق كل التناقضات التقابلية الاخرى من نوع ( الملاك / الأجير ) و ( الموظف / الفلاح ) لو تمقت الوضعية الصراعية وامتدت .

**- العلاقات التعاطفية :** وتقوم هذه العلاقات على محورين : محور العواطف ومحور المصلحة المشتركة . وتكون هذه العلاقات أوضح على محور العواطف واكمل مثال لذلك هو موقف صالحي من جميلة التى تمثل فتاة احلامه . وهى علاقة تتسم بالكثير من الحساسية ومن امكانية التأثير بما يحدث حولها اذ انطلقت من وضع ابد ما يكون عن تسهيل مثل هذا التقارب بالتقاليد الاجتماعية فى القرية وعدم التكافؤ الطبقي والوضعية الدراسية للفتاة كل هذه العوامل جعلت مثل هذا التقارب العاطفى الذى كان يؤمل منه ان ينتهى الى الزواج ينتهى أيضا الى وضعية تأجيلية تفرضها نهاية العطلة الصيفية وتازم الوضع الاجتماعى فى القرية . وطبيعة مثل هذه العلاقات أن تقوم بين شخصيتين لهما من المبررات الذاتية ما يجعل افكارهما ومشاعرهما تلتقى عند رغبة مشتركة. ثم تأتى بعد ذلك عراقيل متعددة لكى تقف فى طريق وصولهما الى التقارب النهائى . وتنتهى الوضعية غالبا الى احد حلين : اما التازم النهائى وبذلك ينقطع امل التقارب ( نهاية مأساوية كما فى كل لتراجيديات وافضلها روميو وجوليات ) أو التقارب الذى ينتهى بالزواج ( كما فى كل القصص السعيدة التى تنتهى بالزواج وانجاب الاطفال ) وكان الكاتب أراد هنا تجنب النهاية التقليدية ففضل تأجيل الوضعية الى مرحلة أخرى .



2 - 2 - 2 - العلاقات الثانوية : وهي تنشأ من هامش العلاقات الأساسية وتأتى متممة لها وتبدو فى هذه الرواية محدودة الانواع لا يتميز منها الا اللقات التضامنية والعلاقات العائلية . فاما العلاقات التضامنية فتكون فى شكل تضامن تلقائى لا ترجى منفعة من ورائه أو فى شكل تضامن تفرضه مصلحة ما .

وابرز الامثلة على التضامن التلقائى ذلك الذى يجده صالح من افراد عائلته عند محاولة اقناع والده بقراره الاشراف على حفظ التعاضدية الجديدة أو عندما تساعده أخته كثيرا فى توفير فرص الالتقاء بجميلة ؛ فمثل هذا التضامن التعاطفى تبرره روابط عائلية قبل أن تبرره الدوافع الأخرى . ويبرز فى شكل إعانة للشخصية الرئيسية مما يمكنها من تجاوز العقبات التى تعترض طريقها . وكمثال آخر لهذا التعاطف التضامنى التلقائى موقف سكان القرية من إيقاف المتظاهرين الذين سجنهم الوالى وهو تضامن تلقائى فرضته وحدة الانتماء وروابط القرابة .

اما التضامن المنفى فهو ذاك الذى تفرضه الوضعية التقابلية من خلال الحدث الرئيسى .

فتضامن حامد لربى مع مجموعة المناهضين كان أساسا موقف مصلحى من خطر يتهدد املاكه واستجابة صالح لعرض المعتمد بتعيينه على رأس التعاضدية الفلاحية تضامن مصلحى يمكنه من التوظيف بالمكان الذى يرغب فيه .

وتأتى العلاقات العائلية فى الدرجة الثانية من حيث اهميتها فى تطوير الحدث الرئيسى فى هذه الرواية وتنقسم هذه العلاقات الى ثلاثة أنواع :

- **علاقات تقارب** : كنتك التى تقوم بين صالح ووالدته محبوبة وهى تجد مبرراتها ف طبيعة العلاقة التى يمكن أن تربط الأمح بولدها . وإلى هذا الصنف من العلاقات تنتمى العلاقة التى تقوم بين صالح وأخته سعاد . وهى من العلاقات التى تجد مبرراتها فى تقارب السن والتفكير .

- **علاقات التنافر** : كنتك التى تقوم بين الأب الصارم وابنائه فهى رغم ما تفرضه طبيعة علاقة الأبوة من حب وحنو تورث فى نفوس الابناء مع الزمن الحشية ثم تنتهى الى النفور لان ما يطفئ فى طبيعة الأب فى هذه الحالة ليس

عاطفته الأبوية بل مظهره الاجتماعي الذي يرغب في المحافظة عليه والذي  
يجسم في نظر الأب سيطرته على العائلة .

- **علاقة التعايش :** وهي قد تكون في نطاق العائلة وتوسع لكي تشمل كل  
القرية ولا تتميز هذه العلاقات بصيغة خاصة ولكنها تتلون حسب الوضعيات  
والمراحل الزمنية وتنطلق دائما من مبدأ تحمل الآخرين ما دام لا يمكن تجنبهم  
والتخلص من وجودهم في نفس الفضاء . وهي علاقات غالبا ما تتحول الى  
تقلب أو تنافر حسب الاشخاص وحسب المصالح .

وكخلاصة لعرض العلاقات القائمة بين الشخصيات نتضح محدودية هذه  
العلاقات وصبغتها العادية وهو ما يجعلها تبدو في صنفها الاساسي قابلة  
للتطوير ( العلاقات التقابلية ) وفي صنفها الثانوي ( العلاقات التعاطفية ) غير  
ذات أهمية في تطوير الحدث .



### 3 - تقييم الكتاب :

3 - I - **الموضوع :** يبدو موضوع الكتاب منتميا الى عائلة الكتب الروائية  
التي خصت باهتمامها ارتباط الانسان بالارض من خلال فلاحتها وما يضيفه  
ذلك من علاقات اجتماعية على الوسط الريفي الذي تدور فيه أحداث الرواية .  
وان كان الكاتب قد أراد هنا أن يخرج من نطاق هذه العمومية الشاملة التي  
تربط الانسان بالارض الى نطاق خصوصية ظرفية تتمثل في تجربة اقامة  
تأشيرة فلاحية نموذجية والى خصوصية أخرى هي فرض منطلقات فنية  
لعملية استصلاح الارض . فالوسط هنا هو واحة عتيقة تعيش مشاكل نقص  
الماء والاهمال . والاشخاص في هذه الرواية هم اصحاب الارض والسلطة التي  
تسعى الى تغيير الوضعية الفلاحية من خلال ادخال التعاضد حسب خطة عمل  
مدروسة وبوسائل فنية ( عون فني ، قنوات سقي وتصريف ، مساحات  
متجمعة ) .

فالموضوع في إطاره هذا يلتقي مع كتابات روائية أخرى اتخذت من ملكية  
الارض وفلاحتها والصراع من أجل ذلك موضوعا لها . لعل أقربها في المناخ  
لادبي كتاب « الأرض » لعبد الرحمان الشرقاوي ، وكذلك كتاب « الدقلة في

عراجينها ، للبشير خريف ، وكتاب « الجسد والعصا » لمحمد الهادي بن صالح . والموضوع في حد ذاته في هذا النطاق يفرض إبراز التفاوت الطبقي والفكري بين العاملين في هذه الأرض وبين المرتبطين بها كما يبرز تنوع أهدافهم واختلافها وتعدد الوسائل المستعملة لتأكيد هذا الارتباط بالأرض .

أما وضعية التقابل بين صاحب الأرض كمتعهد ومستغل لها والسلطة كراغب في تحسين إنتاجها ومبرمج لذلك بوسائل أكثر نجاعة فهو موضوع ينتمي إلى مجموعة المواضيع التي تطرح العلاقة بين خبرة الممارسة وحصيلة النظريات . وإن كان الكاتب قد فضل هنا تطبيقها على الجانب الفلاحي من قرية ما فإن ذلك لا يعني خصوصية هذا الشكل بالوضع الفلاحي .

وفي نطاق هذه المعطيات يكون الموضوع يستجيب لاختيار أصلي في ربطه بالوسط الريفي ومشاكل خدمة الأرض وباختيار تكميلي في وضع الأحداث في إطار مرحلة التعاضد لكن النهاية التأجيلية التي انتهت إليها الأحداث لم تكن أكثر من محاولة للتخفيف من خيبة مرة ( كذلك التي واجهت غيلان في « السد » ) . تبقى معها رغبة الإنسان في إعادة المحاولة قائمة في انتظار أن تتوفر معطيات أكثر موثاقاً .

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

وفي النهاية يتضح جهد الإنسان وجدوى ذلك من خلال مدى محدوديته خلاصة لكل هذه الأحداث التي يمكن أن تنتهي إلى أي نهاية كانت ولكن يبدو أكثر أهمية من النهاية هو أن الأرض باقية وأن الإنسان الذي يخدمها باق بشكل من الأشكال وأن مشكل عطش الواحة قد يحل في يوم ما بطريقة مغايرة أو يؤجل حله إلى مرحلة أخرى موائية . ولكن الإنسان ما زال هناك تشده روابط عائلية وتضامن قوي في نطاق القرية . وما زال قادراً على الحب وعلى السعي وعلى الانتظار ( انتظار الموت أو انتظار الغد الأفضل ) . وفي النهاية التأجيلية للرواية الكثير من الأمل في أفق حياة هذه القرية وهو ما يخرج بها من طبيعتها الاجتماعية الوصفية إلى استشفافية أكثر دفقا بالحياة .

2 - 2 - 2 - تقنية الكتاب : الأسلوب سردي تقريرى يعتمد الزمن الراهن ويتواصل معه منذ بداية عطلة صيفية ما إلى انتهاء التجربة بانتهاء الصيف حسب تسلسل منطقي عادي . الزمن اقتطاعي انتقائي داخل هذا

الحيز من الزمن الحاضر . الزمن الماضي لا يرد الا في صيغة الذكريات التي تنتاب بعض الشخصيات فى لحظات معينة من وجودها ( نذكر مبروك لشبابه ، تذكر صالح لمراحل معينة من ماضيه ) .

عملية الاقتطاع الزمنى تنسم حسب ضرورة الحدث الرئيسى أساسا لانه هو الذى كيف الاحداث وما النهاية المؤقتة التى فرضها هذا الحدث ( فشل اقامة التعاضدة وتأجيل ذلك ) الا نهاية للرواية .

التراوح بين الحركة الفردية والحركة الجماعية يسمح بالحد من رتابة التقريرية السردية . دخول الشخصيات فى نسق الرواية من خلال ترابط الاحداث يتم حسب «تجميع يؤرى» تفرضه تنمية الاحداث وعلى وجه الخصوص الحدث الرئيسى . وكذلك اختفاء الشخصيات من نسق السرد كان يتم حسب بعدها عن تطوير الاحداث وهى عملية تخضع كثيرا لمنطق محورية الاحداث حول الحدث الرئيسى ومحورية الشخصيات حول الشخصية الرئيسية . وفى هذا النطاق ما يسمح للكاتب بالكثير من الحرية للتصرف فى مصير الشخصيات ويوفر امكانية الجأنة فى بعض المواقف ( كالنقاش الذى دار بين صالح وجمييلة وسعاد حول وضعية المرأة ) والاعتباطية فى بعض الاحداث الثانوية ( كالجولة التى قام بها صالح صباح وصوله الى القرية ) .

الاقتطاع الزمنى التصاعدى حد كثيرا من الاطلاع على خلفية الاحداث الراهنة فى الرواية . كان يمكن الاستفادة كثيرا من تيار الزمن الاسترجاعى لتبرير البعض من المواقف عند بعض الشخصيات . فموقف مناعضة اقامة التعاضدية مثلا لم يبرر بما فيه الكفاية ثم أن يكون المعارض الرئيسى لذلك هو رئيس البلدية على وجه كان يتطلب المزيد من التبرير . فالشخصيات قد بقيت بدون ماضى أو بذكرة قصيرة لا تشدها الى واقعها الا مواقفها الراهنة التى تتحرك فى نطاق تنمية الحدث الرئيسى .

اما العلاقات بين الشخصيات فقد بقيت اولية فى ترابطها فهى اما مصلحية او تعاطفية عائلية وكان يمكن أن تكون أثرى وأعمق . ثم هى علاقات غير متطورة ولعل العلاقة الوحيدة التى عرفت التطور الجزئى هى تلك التى تربط حامد الربعى بغيره من المتحمسين أو المعارضين . فهذه الشخصية المتحولة فى

مواقفها نتيجة الاقتناع ( الذى يبدو فى نطاق الرواية غير مدعم بما فيه الكفاية ) تبدل علاقاتها تماما من معسكر الى آخر دون ان ينتج عن ذلك أى رد فعل فى مستوى ارتباطها الاجتماعية والعائلية .

اما بقية العلاقات الاخرى فهى عديمة التطور . فالتضامن والتساند العائلي أو التضامن فى نطاق القرية يبقى كما وضع منذ البداية موقفا مبدئيا لا يتحول والسلطة فى مواقفها من المواطن تبقى تنظر اليه دائما من منظور ضرورة ترشيده وهدايته النجدين . والعواطف التى بدأت متاجعة فى أعماق كل من صالح وجميلة تبقى كذلك الى النهاية . كل هذا الجمود فى العلاقات القائمة بين الشخصيات يضى على التقريرية السردية المزيد من الرتابة التى شاركت فى تأكيدها نسقية تصعيد الاحداث فى اتجاه التازم ثم الانفراج الذى تنتهى بنهايته ضرورة الحدث . وهذا مما جعل الشخصيات تخضع لتصور أولى لدى الكاتب تبقى عليه فى غالبيتها حتى النهاية دون ان تتوفر لها فرصة النمو من خلال تيريرية الحدث .

إن كان ضرورة ان تصنف هذه الرواية فهى أساسا وقبل كل شئ، رواية حدث قبل ان تكون رواية شخصية رئيسية متميزة لان الشخصية الرئيسية فيها غير مقنعة تمام الاقتناع لا فى مواقفها ولا فى مشاركتها فى تحويل الحدث أو فرضه . ثم ان التعريف الاول بان هذه الرواية رواية حدث يمكن ان يخصص بأن الرواية أيضا محورية الاتجاه فى احداثها وفى حركة شخصها تدور حول نفسها وتعكس انغلاق فنانها مما قد يجد صداه فى انغلاق فناء القرية أو فى « انغلاقية الحدث التعاضدى » كما يبرز ذلك فى موقف السلطة من تنفيذه . ولعل هذه الانغلاقية تجد صداها أيضا فى محدودية العقلية الفلاحية التى يتوجه اليها بهذا الحدث التعاضدى .

بقى ان نتساءل بعد ذلك هل : إن فى اختيار الميدان الفلاحى فى واحة ما تعاني مشاكل الماكية الفردية وفى اختيار الشخصية الرئيسية متمثلة فى عون فى يحمل مفاهيم ثورية فى اختصاصه بالنسبة لما اعتاده الوسط الذى توجه اليه ، هل فى هذين الاختيارين نمطية شمولية تبرز توفيق الكاتب الى عرض جانب اجتماعى لمشكل اتخذ من ظرفية التعاضد واجهة لعرض تناقضات اجتماعية متعددة ؟.

فالبعد الاجتماعي في الرواية لا ينحصر في التركيب الاجتماعي للأشخاص الذين يتصلون بالحدث من قريب دون أن يمكن ذلك الكاتب من عرض شرائح اجتماعية متعددة تكون تتصل بالحدث الرئيسي كما تفرض طبيعة الحدث المحوري ذلك .

فبقطع النظر عن رموز السلطة ( معتمد ، والي ، رئيس الشعبة ، رئيس البلدية ) لا يبرز الفلاح الا في رموز استقطابية غائمة لا يتضح منها الا مثال حامد الربيعي . وفي هذه الاستقطابية الكثير من الاختزال في عرض النماذج وفي تعميق المشكل .

وراء هذا الحدث الرئيسي الذي يحرك المجموعة تبدو الواجهة الخلفية للحياة الاجتماعية للقرية جدباء فهي لا تبرز الا من وراء دكاكين القرية التي تمثل منتديات الشباب أو من وراء عين الماء حيث تلتقي النسوة . وفي النهاية تبقى هذه القرية جامدة فاقدة لراسيمها اليومية أو الموسمية بلا افراح تجمع السكان وبلا تجمعات تعاونية لا تعرف سرعة انتشار الانباء المحلية ولا تبرز فيها الشخصيات النمطية المرتبطة بهذه الأنشطة البشرية . وكان الوجه الاجتماعي الوحيد الذي يبرز في هذه « القرية / الواحة » يتمثل في تضامنها عند ايقاف مجموعة من إبنائها ولكن هذا الموقف وحده غير كاف لكي يعكس طبيعة العلاقات بين الافراد .

3 - 3 - مكانة الرواية من القصة التونسية : أتنا هذه الرواية لعمر بن سالم لكي تنضاف الى مجموعة الروايات الحدث التي عرفتها القصة التونسية وهي وإن كانت تخرج عن صنف الروايات الحدث التي تتخذ من موضوع الاستعمار ومقاومته محوراً أساسياً إلا أنها تمثل مرحلة تاريخية مואلة في سلسلة الأحداث التي طبعت التاريخ الحديث لهذه البلاد فتجربة التعاضد كالاستعمار مرحلة من تاريخ هذا الشعب الذي تعرضت له الرواية التونسية. وقد بقي عمر بن سالم بروايته هذه في نفس المنهج الذي سار فيه من قبل محمد المختار جنت في « ارجوان » وسار فيه محمد العروسي المطوي في « التوت المر » أو محمد الصالح الجابري في « يوم من أيام زمرا » . ويتمثل هذا المنهج في عرض ردود فعل مجموعة بشرية ما من ظاهرة معينة قد تكون الاستعمار وقد تكون الاستغلال وقد تكون إعادة توزيع الأرض وذلك بوضعها

فى اطار زمنى ومكانى معين ( تتجدد ملامحه وتتغير مواقف شخصياته من خلال تطور الاحداث ) .

فالرواية من هذه الزاوية تتأطر فى نطاق الرواية التونسية ذات المرمى التاريخى . وهى من زاوية أخرى تبدو فى اختيارها لوسط ( القرية / الواحة ) كموضع للاحداث تنتمى الى صنف الروايات التى تقترب فى منهاجها من ( الدفلة فى عراجينها ) للبشير خريف و « الجسد والعصا » لمحمد الهادى بن صالح و « نصيبى من الافق » لعبد القادر بن الشيخ. وهذا الصنف من الروايات تضع حركة احداثها فى نطاق الوسط الريفى لكى تتخذ من المشاكل الاجتماعية المتوفرة فيه موضوعا لها . وتكون فى مقدمة المشاكل الاجتماعية التى تعرضها ملكية الارض وخدمتها والارض والماء وتجميع الثروة وامكانية اعادة توزيعها وفى النهاية تأتى الهجرة كحل نهائى لنفص اليمين من مشاكل الأرض .

بقي أن نشير فى النهاية الى أن حكاية الحب فى هذه الرواية والتى تمثل الحلفية العاطفية للحدث الرئيسى هي أيضا من جملة المميزات التى تنعكس فى الرواية التونسية بنفس الملامح تقريبا كما فى « حب وثورة » لعبد الرحمان عمار وكما أيضا فى « ارجوان » لمحمد المختار بن جنات وفى « ونصيبى من الافق » لعبد القادر بن الشيخ وهى خلفية متوفرة فى اغلب الروايات العربية المشرقية .

فهذه الرواية لا يمكن أن تكون متفردة فى نطاق القصة التونسية الا باعتبارها قد سعت الى وضع حدث « التفاضد » فى نطاق إطاره الاجتماعى الفلاحى لقرية ذات صبغة فلاحية تفاقمت فيها مشاكل هذا القطاع حتى دفعت بالانسان الى هجرة الأرض .

**احمد ممو**

فابس فى 20 أكتوبر 1980

## طير من طيور اللقلق

انطلقت من الارض نحو السماء ، تحملني طائرة هائلة ... اتخذت مكاني وجلست أرقب وجه كل فرد من الأفراد ، حين يمر من قربي باحثا عن مكانه غير عابئ بشيء ، كل الوجوه لأناس غرباء لا أعرف أحدا منهم .. وهذا ما أشعرنى بسعادة لا مثيل لها أتحمسها أحيانا على سطح الأرض بوضع نظارة سوداء قائمة تمنع عني وهج الشمس ، والقاء التحية على هذا وذاك .

وكان من نصيبي أن يجلس قربي رجل بدين الجسم ، قبيح الوجه .. لم أرتح له ، وكنت أفضل أن تجلس تلك الأنسة التي ساعدتها بحمل محفظة لها وقعت من يدها ، فابتسمت لي شاكرة ، ابتسامة عذبة لا اعتقد أنني سأنساها في أي يوم .

انطلقت الطائرة في الفضاء ، وامتثلت لصوت أثنى ممتلىء بالعدوبة ، تطلب إطفاء اللقافة ، قاطعتها ، لكن الشخص الذي احتل مكانه بجاني تدخل فسخر مني قائلا :

– ولماذا أطفأت سيجارتك ؟

– ولم لا أطفئها ؟.

ابتدر يسألني أسئلة نافهة ، ففتحت جريدة كبيرة جدا ، ورحت ألتهم حروفها وبدأ لي أنه من الصعب عليه أن يخرق عالمي ، لكنه رغم هذا قال :

– حتى هنا تطالع الصحف ؟.

– ولم لا أطلعها ؟.

– حتى تتحسس العالم الغريب الذي يحيط بك .

تجذبني الصحف ، وأنا في حالة هرب من حوار فيه من السخف أكثر مما فيه من المتعة .



– لا بد من أن تشاركنى متعتى فى هذه الرحلة .

– صدقتى ان الوحدة والصمت هى كل ما ابتغى ، ألا يكفيننا ما نلقاه على سطح الارض من مضايقات ، وغباء يتناثر مع الحروف ؟.

– لا تثرثر .. لقد أعجبتنى ، ولا بد من أن ننشىء صحبة طريق بيننا .

شعرت بالاختناق ، التفت الى الخلف باحثا عن مكان آخر ، فوجدت المقاعد كلها ممتلئة .. وتصفحت الوجوه التى لا أعرفها .. وعثرت على الأنسة التى ساعدتها فى حمل المحفظة ، وكان قربها رجل لا تحدثه ، والتقت أعيننا ، فبادرتنى بابتسامة عذبة لا اعتقد اننى سأنساها قط .

اما الرجل البدين فكان ينظر الى ، وينتظر ان أبادله الحديث ، فنشرت جريدتى ذات الصفحات الستة عشر .. تذكر أخيرا ان على يساره انسانا آخر ، فالتفت اليه وأنشأ تلك الصحبة الممتعة على حد زعمه .. دخنا معا ، ثم ازعجاني بالحديث والقهقهة ، بعد حين غرقا فى أحاديث ، كأنها سرية ، حينئذ أحسست بالعزلة وقليل من الغيرة . لكنى تماسكت ، ورحلت أقرأ الادب من قصص قصيرة سطحية ، وشعر مهلهل .. ثم أزحمت الجريدة ، ووضعت وجهى خلف كحاج نافذة الطائرة ، قرأت جناحها الضخم ، وعلى الارض بدا لى البحر بزرقته الجميلة وشطآنه النظيفة ، وزوارقه التى تسير ببطء ، وأنسياب محجب ، ورأيت البيوت مرصوفة بعضها قرب بعض . والشوارع ضيقة طويلة ، تتلوى بين البيوت ، وتبدو لى كذلك الحدائق ، وفى داخلها الاشجار الحضر .. اما بعض الغيوم البيضاء ، فكانت تبدو كأنها تتراكض تحت الطائرة .

أما الناس فقد خلت الارض منهم ، وهذا ما أعجبنى .

لكزة قوية التفت على أثرها الى جارى ، فقال لى :

– ألا تعطينى مكانك ؟

– لماذا ؟ وصديقك الذى تتحدث وایاه قريك . « وقلت هذا بانفعال » .

– جميل منك أن تلاحظ .. اذن فاعطنى مكانك ، ثم خذ أنت مكانه ، وياخذ

هو مكانى .

- لا تتعجب نفسك ، لن أتحرك من هنا .
- لم لا تعرفنى باسمك ؟
- اسمى عبد الله .
- انت تكذب ، اسمك وائل .
- استغربت من معرفته اسمى الحقيقى .
- كيف حصلت على اسمى ؟
- أجل ، اسمك وائل .. وعمرك .. وتسكن فى .. وتعمل .. وتهوى .. وتمتنع عن ...
- ولكن من أنت ؟
- انا أحد طيور القلعة التى تحط على مزارع القمح ، وبعد أن تشبع تقلع محلقة فى الفضاء الرحب .. ويفمرها الشعور الحقيقى بالحرية .
- ما أغرب ما أسمع ، هذا الانسان هو ذاتى .. أفكارى المثلثة بجسد غريب .. نظرت الى وجهه مليا .. فلم أذكر اننى رأيته قط .
- أرجوك عرفنى بنفسك .
- سوف لا تصدق اننى أنت .. وأن روحك فى داخلى .
- وجسدك البدن هذا .
- انه جسد أحد الأموات .
- وتريدنى أن أصدقك ؟ .
- حين انفصلت روحك عنك .. تقمصت جسد ميت حديث الموت ، وأصبحت أنا .
- مستحيل .. ولو كنت أنت أنا فعلا ، لما كرهتك .. واشجعت عنك وجهى .
- بل انت تكره نفسك أيضا مثلما تكره الناس .
- لاحظت لى ابتسامتها ، انها الدليل الوحيد على امكانية الحب لدى .
- يلزمنى الكثير من الوقت لأصدق .
- لا داعى لارهاق نفسك .. سأحدث بأفكارك الباطنية .. ألسنت تفكر بهذه الامور .

أن تحيا في جزيرة قريبة من احدى المدن الكبرى .. تملك نقودا لا تنضب ..  
لأنك لن تصرف منها الكثير ، و تملك أداة نقل بسيطة ، لأنك لست من هواة  
حب المظاهر .

كنت في مدينتك نزق المزاج .. كثير الحساسية ، متوقد الذكاء .. تميل  
الى أختك الصغرى لأنها مطبوعة وحاوة .. وتغار من أخيك الكبير لأنه أكثر  
سيطرة منك .

« كنت أزداد دهشة » تابع .

وفي عملك ، أنت صامت تكره الاختلاط ، وما ان يمسك أى انسان بأى  
شيء حتى تتحول من قط وديع الى حيوان شرس ، فتخذه باطافرك التي  
تختفى ، وتظهر وقت الزوم .

« قاطعته » .

— هذه تخمينات ليس من العسير التكهّن بها .

— لا بأس .. وهذه الآنة التي حملت لها مخفطها ( رغم انك لا تخدم أى  
انسان ) ألم تتحرك بابتسامتها ؟ <http://Archivebeta.5a>

والتفت اليها مشيرا .. فاضطربت .. كرهته كثيرا .. وكسرت أكثر ان  
يتحدث انسان ما متكونا من جزء من روحى التي انفصلت عني وتقمصت جسدي  
ميت حديث الموت . انسان لا أعرفه ولا أستسيغه ، بالإضافة الى انه يشكل  
خطرا على اذ انه يفضح افكارى الباطنية وقد أفكر « كما يفكر أى انسان آخر »  
بما هو غامض أو شرير أو خطير على حياة الآخرين .

فتظاهرت بالصدقة بيني وبينه وقالت له :

— اذن سنبقى معا دائما .. لا أريد أن يذهب كل منا فى طريق ، أفهمت ؟  
معا دائما ، نشعر بمشاعر واحدة .. ونأمل أملا واحدا .. بل وننام فى فندق  
واحد وسرير واحد أيضا .

— لا أطيق هذا .. أفضل أن أصبح انسانا لوحدى .

- وأفكارى الباطنية التى تعيشها وتفضحها بين حين وآخر .

- لن يعرف أحد انها أفكارك .

- وإذا جرتك الى جبل المشنقة ؟

- سأعترف حينها .

وحين أتت المضيفة الرشيقة حاملة الطعام الساخن والشهى ، وسحبنا الصفايح ووضعنا عليها مواد الطعام ، وفى غفلة منه حيث كان يهمس فى اذن رفيقه الآخر همسات سرية ، دبست له السم فى الدسم .. فمات بسرعة ، لكن اجفانه ظلت مفتوحة وعينييه محدقتان فى الفراغ ، ولم يعد يتجاوب مع صديقه .. أو يأكل طعامه . سألته ما بك ؟ فلم يجبنى .

ولم أكن أدري مطلقا أن هذا سيعود على بالفناء الوجدانى ، فقد فقدت تفكيرى وقدرتى على التحليق ، انطلقت روحي الى مكان آخر .. ومات الجسد الذى عاشت فيه . غامر فى شعور القاتل ، ثم أقتنعت نفسى بأننى لست مجرما ، انما قد قتلت جزءا من نفسى وجسدا سبقنى الموت اليه .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولم أعد أعرف ماذا أصبحت .. حجرا .. آلة .. كائنا حيا .. حشرة .

القيت جريدتى المربعة ذات الصفحات الستة عشر .. وتناولت طعامى بنهم كنهم قط جائع عشر أخيرا على قطعة لحم .

ولم أعد أميز أو أعرف لماذا أنا فى الطائرة .. وأين كانت وجهتى .. وما هو سبب سفرى .

بل والاكثر مرارة من كل هذا .. لم أعد أعرف أين هو موطنى ؟.

**ضياء قصبجى**

- حلب -

## الحصان والعربة والاشارات الضوئية

الى متى ستدوم هذه الحالة والحصان معى فى المنزل موثوق الى الحائط يأكل ويشرب ولا عمل ولا نفع ؟ اسقيه صباحا مساء من مياه الحنفية العمومية العذبة فلا يروى وأطعمه أكداس العلف والشعير وبقايا الحُضُر فلا يشبع ؛ ويسلأ باستمرار صحن الدار رؤسا وروائح كريهة . ماذا أنتظر الآن وقد التأمت تقريبا كل جراحه ؟ لقد قلبت الفكرة على وجوهها ودرست الحالة جيدا فلم أتوصل الا الى حل واحد لا يد من تنفيذه .

لا أنكر أننا ترافقنا عمرا كاملا ، عرفنا خلاله طرقات المدينة الواسعة وأزقتها الملتوية الضيقة بل وحتى الأحواز البعيدة والقرى المجاورة ، صهدتنا القيلولة صيفا ، ولسمنا برد الفجر شتا .

كنا نسير متجهين الى قوارب الصيد الراسية فى الميناء ، والظلام ما زال يلف بعد المدينة الناعسة ببقايا النوم . وعندما يحين دورنا ، نملأ العربة سمكا حبا كان قد أخرجه الصيادون بشباكهم من أعماق البحر ؛ وترتفع الصناديق تعانق السماء الغامقة ، ثم نتجه نحو السوق اليومية صاعدين الهضبة العالية ونور الفجر يتسالى باحتشام من وراء الأفق الوردى . وأدفع معه العربة من ذراعها وأصيح بين الفينة والأخرى لأشجعه على مواصلة السير ، فيتحرك الطريق تحت أقدامنا ونخلفه وراءنا .

وأخيرا تصل بعد جهد وتعب الى باب السوق الحديدى المفتوح ، فأوقف العربة ، وأشرع فى انزال الصناديق المملوءة بخيرات البحر ، وأرصفها على رفوف أحد الباعة وأقبض الأجرة وأمضى فى سبيلي .

كنا نقضى كامل اليوم ننتقل من طرف المدينة الكبيرة الى طرفها الآخر ، نملأ العربة ونفرغها ؛ مرة بقولا وخضرا ، وأخرى مواد غذائية متنوعة ، تارة رملا وآجرا ، وطورا أكياس جير وإسمنت .

لقد ولى ذلك الزمن القريب ، وكذلك الزمن البعيد - عهد الشباب والفتوة - حين لم يكن يتعاطى هذه المهنة إلا الرجال الأقوياء ، ذوو القامات الفارعة الطول ، والسواعد الغليظة المفتولة ، والوجوه العريضة الحمراء ، مرشوق فى جانبها مشسوم فل أو وردة حمراء .

كنا لا نحتاج فى ذلك العهد لتفريغ العربى الى رفس ووقت طويل بل كنا نميل العربى نفسها على جانبها مرة واحدة فتنزل حمولتها على الارض ثم نرجعها الى حالتها الاولى ونواصل السير والعمل مترمين باسمين .

اما اليوم فقد هدتنى الكهولة قبل الاوان ، وكثر المنافسون : فحيثما يحول المرء نظره يقابله طفل صغير يمسك بلجام فى طرفه حمار هزيل او حصان بارز الضاوع ، يكاد الواحد منهما لا يقوى على جر العربى فارغة .

إن أولئك السائقين الصغار بارعون فى افتكاك الحرفاء منا قبل أن نتفوه بكلمة واحدة ، خاصة أيام الأحد ، حين نفرش للسواح بساطا من القماش الملون ونحملهم من السوق الاسبوعية الى سور المدينة القديمة . فيبينما نبقى فى الانتظار طويلا ، تجدهم يتنقلون كالبرق وكثيرا ما نسمع منهم سيلا من السب والشتم والكلام البذى .

هكذا تتابعت الايام رتيبة ، زاهرة بالحركة ، فيها كثير من الشقاء وقليل من الهناء ، الى ان عشت يوما رهيبا تغيرت فيه كل المفاهيم ولم أعد أعرف أين اتجه أو كيف أتصرف .

كانت العربى مشحونة بعشرات الاكياس من الاسمنت . وكنت أحت الحصان حتى تكمل الطريق بسلام واذا بجارى الطفل على عربته الصغيرة الفارغة يعدو نحوى ويضرب حمازه ضربا مؤلما بالعصا . ولما التقينا فى مستوى واحد ، أخبرنى أن رجلا يفتكون العربات والدواب من أصحابها ويحجزونها عندهم .

بقيت أول الامر مبهوتا شارد الذهن . ثم تذكرت الشائعات التى انتشرت فى تلك ائمة الاخيرة حول قرار البلدية الجديد . لقد قيل لنا : إن الأضواء الملونة « الأحمر والأخضر والأصفر » ستقام قريبا فى كل أنهج المدينة وشوارعها وأن السيارات والشاحنات ستسير طبق نظام دقيق ، مثلما هو الشأن فى العاصمة والبلدان المتقدمة ، وأن على سائقى العربات أن يبيعوا دوابهم وسائل نقلهم القديمة فى أقرب الآجال لتحل محلها شاحنات صغيرة تسير بثلاث عجلات وتنقل كل البضائع .

لم نصدق آنذاك تلك الشائعات واعتبرناها كذبة مسلية اذ مستحيل أن تجرع مئات العائلات وتتشرد بسبب قرار بسيط يضيئه رجل واحد ولكن ظهر أن الشائعات مرت فعلا الى حيز التطبيق .

قلت فى نفسى - وقد أحسست بالدم يفور فى كامل جسدى ويصعد الى رأسى - : لو كانت الحمولة خفيفة لهان الأمر وهربت مسرعا أما والعربة مثقلة بالأسمنت فلا بد من السير البطىء، والحذر من الانزلاق وتجنب الأخطار المحتملة .

وفجأة أفزعنى الخطر الذى لم انتبه له من قبل ، والذى لاح لى من بعيد : عشرات العربات رابضة ساكنة فى مفترق طرقات وسائقوها متجمعون يتناقشون مع رجال يلبسون بدلات رسمية وعلى رؤوسهم قبعات زرقاء . وعلى حافة الطريق سيارة أمن كبيرة ساكنة .

جذبت اللجام الى الحاف بكل قواى ، وأردت تحويل اتجاه الحصان والرجوع به من حيث أتينا . لكنه توقف تماما عن السير ، تسمر مكانه كالصخرة ، التمسست منه برفق أن يجذب الحمولة ... ناديته كصديق ... توسلت اليه ... لكنه أصر على الوقوف .

أحسست آنذاك بالعرق البارد يتصبب من كامل جسدى وبارتعاشة تهز يدى عزا ، فأخرجت السوط من مخبئه وانهلكت عليه ضربا فى كل مكان : على الجوانب وعلى الظهر وعلى العنق وعلى الرأس ...

عند ذلك صهل عاليا ... وانفثت عضلاته الساكنة بركانا هائجا ، وانطلقت القوائم التى كانت متفرزة فى الأرض الى الامام وعدت مسرعة غير عابئة بالسيارات والشاحنات والناس المتجمعين .

أصبحت العربة الثقيلة تعدو كالريشة ، وتملعلت الأكياس فى كل الاتجاهات ، بينما كان الحصان يواصل الجرى والقفز والعدو والصهيل ، كأنه هارب من الموت أو كأنه مندفع نحوه .

اعترضنا أعوان الأمن ملوحين بعضهم علامة الوقوف . لكن الحصان كان فى حالة غير عادية ، يعدو كما لو كانت له أجنحة يطير بها فى الفضاء . اقتربت من الكوكبة التى سدت الطريق وكدت أدوسها فجذبت اللجام متوجها الى اليسار فصعدت العربة حافة الرصيف المرتفع قليلا على الأرض . واهتزت عزات عنيفة ومالت على جنبها ثم سرعان ما استوت فخلت أنا سستحطم .

ذهل الواقفون ، وتجنبونا فارين قليلا الى الوراء ففسحوا لنا منفذا صغيرا تمكنا من اختراقه بصعوبة . وواصلنا الجرى لكن أعبعنا الصياح وصفارات الانذار والتهديدات .

وما زلت أحت الحصان على الجرى ، وما زالت الأكياس تسقط خلفنا الواحد  
اثر الآخر وتنقلب خالما تلمس الارض مثيرة حولها سحبات كبيرة من الغبار .  
وابتعد الملاحقون عنا شيئا فشيئا حتى غابوا عن الانظار .

وجدتني أخيرا فى حيننا الشعبى ألث وأتصيب عرقا . وترنح الحصان  
نعبا وإرهاقا ، التوت قوائمه ثم سقط أمام باب المنزل كالमित يفور منه العرق  
والدخان والدم وانغرزت يد العربة فى جنبه وغطته أخشابها .  
نظرت الى هذا الكائن الجميل الجريح المفروش على التراب كدسا هامدا ،  
فاحسست بحزن عميق وبألم كبير يعصر كامل جسدى وخنقتنى الدموع  
فخبأت وجهى فى كفى وبكيت بحرارة .

\* \* \*

اعتنيت منذ ذلك اليوم بالحصان الحبيب كطفل مدلل مريض ، أضمد جراحه  
وأطعمه بيدي وأسمع عنقه الطويل وعرفه الجميل وأحادثه كصديق . عاف أول  
الأمر كل شيء . ثم سرعان ما أقبل على الطعام ونظر الى نظرة شكر وامتنان  
فتحسننت حالته شيئا فشيئا وتمائل للشفا ، لكن احدى قوائمه الاماميتين لم  
تبرا تماما ، وأصبح يجرهما جرا . فتبينت أنه لن يقدر على جر العربة والجرى  
كذي قبل . فحزنت كثيرا لو أن أحد أطفالي أصبح مشلولاً .

فى المدة الأخيرة زارنى جارى السائق وأخبرنى أنهم يبحثون عنى فى كل  
مكان وأن أحد المسؤولين الكبار فى الجبهة استدعى كافة سائقى العربات وخطب  
فيهم بعد أن سوى ربطة عنقه وضرب على المصداح ضربات صغيرة قال :  
« إن الحيوانات الأهلية تجلب مختلف الأوساخ والأمراض والأوبئة وإن القانون  
يمنع تربيتها وجولانها فى المنطقة البلدية وأنها مظهر من مظاهر التخلف لا بد  
من إزالته » .

وحيث إن الأشغال بدأت والاشارات الضوئية شرع بعد فى تركيبها فى  
مدخل المدينة وحيث إن أضرارا جسيمة قد تلحق بالمارة ووسائل النقل  
العصرية وحيث أن .. وحيث أن .. وحيث أن .. فان أعضاء المجلس البلدى  
اجتمعوا فى جلسة خارقة للعادة وأوصوا بأن تشتري البلدية كل الدواب التى  
تتجول فى منطقتها بأثمان لا تضر بميزانيتها واقترحوا أن تتكون لجنة مختصة  
لتنظر فى إسناد رخص الشاحنات الحفيفة ذات العجلات الثلاث لمن تتوفر فيهم  
شروط معينة . واجمعوا على أن يترك السائقون القدامى مهنتهم ويبحثوا عن  
مهنة أخرى تتناسب ومؤهلاتهم البدنية والفكرية .



وواصل رفيقي : « عند هذا الحد قاطع الجميع الاجتماع وخرجوا غاضبين صائحين مهددين ملوحين بقبضاتهم في السماء . خرجوا الى الشارع على تلك الحالة فاستقبلتهم سيارات كبيرة خرج منها رجال يرتدون بدلات زرقاء ، يضعون على رؤوسهم خوذات بيضاء ، ويمسكون بالأيدي اليمنى عصيا طويلة وباليسرى تروسا زجاجية .

أحاطوا بالسائقين من كل جانب ، وانهالوا عليهم ضربا موجعا داميا أصابهم في كل مكان من أجسادهم وصلت اليه عصيهم المدربة واشتبك الجميع في معركة عنيفة - مدة من الزمن - ثم تشتت الجمع وقبض على بعض الرجال والاطفال للتحقيق معهم ومحاكمتهم .

غادرني جاري وأوصاني بأن التحق بالرفاق الآخرين .

عند هذا الحد فهمت أن صفحة جديدة من حياتي انطوت . وأن عائلات كثيرة تشردت . وأن أطفالا أبرياء سيكون طويلا بسبب فقدان رغيغ الحزن الذي كانوا ينعمون به من قبل .

\*\*\*

يا رفيق العمر . يا حصاني الحبيب سامحتني ان اخطأت في حقك وظلمتك لقد اتفقت أمس مع جزار يبيع لحم الحصان أن يأخذك مني ويذبحك ويقطع لحمك قطعاً صغيرة يضعها في قراطيس بيضاء ، ويسلمها لحرفائه الكرام . إن قلبي يدمى حين أنخيلك على تلك الحالة لكنني مجبر على تنفيذ ذلك الأمر الذي نفسى مكرمة على تطبيقه .

سأفارقك قريباً .

لن أمتع بعد اليوم ناظري بوقفك الانيقة النبيلة كوقفة تمثال مرمرى نقشته يد عبقرية .

سأشتاق لسماع وقع أقدامك السريعة المنتظمة على الأرض المعبدة كدقات ساعة كبيرة .

سأذكر - كما قام رجال شرفاء في بلادى يطالبون بحقوقهم الشرعية - بجهتك العريضة الناصعة ، وعرفك الطويل الجميل تداعب خصلات النسمات ، وأقدامك الرشيقة السريعة التي لا تعباً بالرياح والأمطار والظلم .

منذ اليوم لن أسكت عن الإعاقة والاستغلال والقهر وسألتحق بالأصحاب للعمل الإيجابي ولافتكاك حقوقنا الشرعية .

**بوراي عجيئة**

نوفمبر 1980

## الجثة والصبيان

وجد الجثة صبيان عندما كانوا يلعبون في الغابة القريبة من القرية ، خالوها في البداية كدسا من النفايات ، فتقدم صبي وأزاح أكياس الاسمنت الورقية فبدت « ريسم » نصف عارية ورأسها ملتوية ، وقد ملئ ، فمها بالتراب .. بعد أن عبث بها المجرم كما شاء ، وقتلها في النهاية . أسرع الصبيان الى أمهاتهم فخبروهن . وأسرعت احدهن الى أم « ريم » لخبارها برواية الصبيان ، وهي لا تكاد تصدق الخبر . وما أسرع ما ذهبت الأم الى عين المكان ، وجمع كبير من الصبية يتبعونها ، وقد طار الخبر في القرية فهب الناس فرادى وجماعات الى عين المكان ، ورات الأم ابنتها على تلك الحالة فسقطت مغشيا عليها .

تسأل المتحدث الأول في تعجب :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– أي مجرم هذا ؟

قال المتحدث الثاني :

– لم يكتف بالعبث بها فقتلها .

– انها ما زالت صغيرة . ومع ذلك تعرضت لهذه الجريمة البشعة .

قال المتحدث الرابع :

– الدنيا جرائم .

همهم متحدث خامس :

– ان الجريمة من اختصاصات هذا العصر .

وسرعان ما طوق المكان فيلق من الشرطة . وجاء أحمد رئيس المركز يبدو على وجهه التغير الكامل . وضرب هذا وجهه بيديه عندما رأى طعنات الخناجر على الجثة وقد سكب الدم فوق التراب ، ففاص بعضه ففى الأرض وتجمد بعضه فوقها .

وجاء المحقق وهو يضرب الأرض بقدمه

- مع من كانت تلعب الصبية ؟
- قال أبوها وهو يدارى عبرة تنسكب على خديسه :
- مع صبيان كثيرين
- هل كانت تتخاصم مع بعضهم ؟
- انها أهدوهم جميعا .
- هل لكم حزازات مع بعض الناس ؟
- ليس لها مشككة مع أى كان .

وبت أحمد أعوانه فى كل مكان للبحث عن المجرم ، ومرت أيام عديدة دون جدوى . حدثت أثناءها جريمة ثانية .

كانت عائشة تسكن منزلا منفردا فى ضواحي القرية نفسها . وكان زوجها يعمل بفرنسا ، هاجر إليها منذ سنتين ، وذات ليلة ، سمعت طرقا على الباب فخالط الطارق أخاها الذى اعتاد أن يزورها فى كل وقت بمناسبة وبدون مناسبة ليطمئن عليها وعلى ابنها الصغير .. أشعلت المصباح الكهربائى ، وتحركت لفتح الباب ، وإذا برجل غريب ملثم ينقض عليها ، فيقتلها خنقا ، ويسلب كل ما فى بيتها من متاع ، وخشى المجرم أن تبقى آثاره واضحة ، فحرق المنزل بالنار وفر ، ولم يكن يعلم أن فى البيت صبيبا ولما تعالت السننة النار هب بعض الجيران الى دار الحريق فلم يستطيعوا إطفاءه ، وجاءت فرقة مقاومة الاجرام فى الصباح الباكر لتشاهد الواقعة على عين المكان .

رأى أحمد جنتين سوداوين احدهما لطفل صغير ، والثانية لشخص بالغ العمر وجمع الجيران يبحثهم عن أسباب الحريق .

قال الجار الأول :

- كانت المسكينة هادئة الطبع ليس لها عداوة مع الناس . واعترف الجار الثانى بأنها ليس لها علاقة مع رجل ثان غير زوجها .

- ان الأمر غامض .

فتحدث المحقق عندئذ وهو يتميز غيظا :

- المجرم خطير .. حرق المنزل لكى لا تظهر جريمته .

أجاب معينه قائلا :

- ربما تكون ملت الحياة فحرقت نفسها ومنزلها .

قال شيخ ، وكأنه يحدث نفسه :

- اننا نمل الحياة لأسباب قاهرة

وجاء أخو الهالكة وكان منذ اليوم السابق للحادثة بالعاصمة فسأل

المحقق في لهف وهو يدارى دمة تتحدر :

- هل وصلتم الى نتيجة معينة ؟

أجابه هذا وهو يدارى خيبتة :

- لم نصل الى شيء ..

وأضاف المعين في لهجة خافتة :

- كل شيء غامض :

فاهتز أخو الهالكة وتحدث في غضب :

- أضيع الحق بلا مبرر ؟

تحدث المعين وهو يحاول تطمينه :

- سنحاول أن نكتشف السر .

وانتظمت من الفد اجتازة وموكب هب له أمل القرية جميعهم ، وقد سرى  
الرعب في نفوسهم ... فقد خشي كل واحد على نفسه من الأصابع الخفية  
التي تغتال الناس ، وسار من الفد مع السائرين « بودفة » وهو في حالة  
سكر كعادته ، وكان بعض الصبيان يتفكهون به زعم الصمت السائد أثناء  
الموكب .

يقضى بودفة أكثر أوقاته في مقهى « القراب » بقرنباية ، وكان اذا لم  
يجد ثمن الخمر يسعى بين الناس يتسول فإذا ما حصل على ثمن قارورة  
اندس في قعر المقهى وجلس أمام طاولة شراب وشرع يأمر النادل بصوت  
غليظ فيه من القوة الشيء الكثير ، وفيه من الأمر والنهي ما يجذب انتباه  
الندامى اليه ...

وفي صباح دفن المرأة المحروقة لاحظ عليه أصحابه من اليسر ما لم  
يلاحظوه عليه في أيامه السابقة .

قال لجاره الجالس في الطاولة القريبة منه :

- الدنيا لا تساوى شيئا ...

أجابته جاره :

- لقد طلقت زوجتي ...

أجابته « بودفة » في غيبوبة :

انني قررت من زمان أن أنتقم من النساء ...

ضحك السكير الثالث وقال ناظرا الى فوق :

- لكان السقف سيسقط على رأسي .

ضرب الرابع على الطاولة وقال :

- سأضع الناس كلهم في هذه القارورة ...

تحرك خامس فوق كرسيه وأجاب :

- أنت لست شجاعا . أنا سأسحق إسرائيل في هذه الليلة .

ضحك « أبو دفة » وصاح :

- أنا الشجاع لقد قتلت طفلة وحرقت امرأة وابنها .

وسمع الصاحون في الشق الآخر من المقهى صياحه واعترافاته فخالوه

يهدى كعادته . وأقبل عليه أحد الأعوان السريين وساقه الى المركز حيث

قضى ليلته في المركز . وفي اليوم التالي انتظمت لجنة للتحقيق في

أمره .

أنكر أبو دفة جريمة القتل عندما سئل ولكن مقاومته انهارت في

النهاية فاعترف بالقتل .. ولكن أحد الأغنياء من أصحابه في جلسات

المقهى جاء وهمس في أذن المحقق شيئا لم يفهمه بقية أعضاء التحقيق ثم

خرج . قال المحقق :

- علينا أن نخرج أبو دفة من السجن .

قال أحد الأعضاء :

- ولكنه مجرم يجب أن يعاقب

أضاف المعين :

- لنتركه حتى نثبت في الأمر .

غمز المحقق معينه وقال :

- لقد ثبتت براءته ...

فغمغم أحد الأعوان كأنه يحدث نفسه :

- انه مجرم . ولكنه اشتراه صاحبه .

نور الدين بن بلقاسم

## صراع في بيت أبي الوفاء

( 2 )

وهكذا استمرت الحيرة بفائزة أسابيع متوالية كانت تقضيها في المبيت وهي فريسة للاوهام وطعم للهواجس دون ان تقوى على الخروج الى حيث يخرج الشباب الى حيث تلهو الجموع الملتهبة حرارة وشوقا الى اللقاء الى حيث الاختلاط والتلاقي الذي يتلوه في الغالب تعرف فمودة فمودة فلقاء وكانت فائزة في الاثناء تحاول بكل قواها ان تبعد عن نفسها هذه الهواجس وان تصد اسماعها ولو لحين عن هذا النداء الباطني الذي ما انفك تأثيره يزداد والماحة يشتد ولكن حرارة النداء كانت اقوى من ان تصدها تربية ويحول دونها انضباط واعنف من ان تقوى فائزة على عدم الاستجابة اليها . لقد كان حب الانتقام من التقاليد يذكي فيها العزم ويوجب الي سماعها هذا النداء ، لقد واد الفضيلة ودوس القيم والتمرد على كل شيء في نفسها وفي الفراغ الذي باتت مصممة على الثورة على نفسها وعلى الانتقام من ذاتها ، لقد صممت على ألا يشعر احد سواها بسندولة وهي تترنخ عليها فتلفها بالبرودة والعزلة . لقد عاشت فائزة عنفوان هذا الصراع واستسلمت آخر الامر وقررت ان تعيش شبابها وان تعبر اليه على اشلاء العفة وبقايا الشرف وقررت في الآن نفسه ان تدفع ثمن هذه الاستجابة فلم يكن بين يديها مما تملك غير عفة اهدرت دمها وغير بقية من نبل آتت عليها . وتم ما شئت له الاقدار ان يتم ، لقد غيرت منها هذه الاسابيع الاخيرة كل شيء ، فقد تحولت تلك العزلة التي اعتادت ان تفرضها على نفسها الى حرقه على ما مضى من امسيات السبب والاحاد وهي بعيدة عنها لقد اصبحت تنتظر بشغف كبير موعد هذه الامسيات لتخرج الى قضاء المدينة الرحب ولتنففس ملء رئتيها نسيم الحرية ولتنعم بلحظات الحب وما في مغامرات المراهقة من نشوة لا يحس المرء بنتائجها الا بعد انقضائها وكانت تقطع عنها هذا الشريط من حين لآخر وخزات ندم لكنها سرعان ما تتلاشى في ابعاد قبلة يطيعها على ثغرها فتاها الاسمر وتذوب في دفء احضان فارسها الجديد الذي بان في نظرها خير من تسعى اليه فتاة في مثل حالها عليها تجد فيه من يملأ الفراغ الذي تشكو منه عليها تجد

فيه الوسيلة للانتقام من نفسها ، من التقاليد من الكبت والغرض الذي رافقها طيلة السنوات العشر الماضية . لكن ومضات الندم هذه سرعان ما تتلاشى تحت ثقل الرغبة في الانتقام والتمرد وأنسى لفائزته ان تقوى ازاء هذا التصاعد الخطير في ازمة التصدع التي ما انفكت تقتل فيها كل اثر للمقاومة ، ما عساها ان تفعل ازاء هذا المد والجذر في حياتها العاطفية ؟ اذ كيف ستتصرف ازاء التقاليد التي تفرض عليها قسرا المرور بامتحان سوف يظل مهما توغلت الحضارة في حياة القوم البوابة التي لا بد من المرور بها لحفظ الشرف ، وان وجد في تقاليد القوم ما يمكن ان يفخر به فان يكون غير هذا . وعادت فائزة الى التفكير في نفسها : لا لا يجب ان اقرأ حسابا لهذا اليوم ، يجب ان ارعى ذمة والدي ، شرف العائلة ، كرامة الانتساب لأسرة ابي الوفاء . اين الوفاء مني اذا لم اقف عند حدود الوفاء ؟ ان ورائي انسانية أب سوف ينزل عليه نأ هذا التحول نزول الصاعقة ، انه تحول سوف يتسوج سنوات الكرم والمجد التي رصعت حياة ابي الوفاء بالحسرة والندامة والذل والهوان والموت . لكن هل تراني قادرة على ان اتخذ من كل ذلك موقفا بعد ان تقدمت في لعبة النار اشواطاً وبعد ان مست اللهب مني الاثواب وتسربت السنة النيران الى الداخل فشوهت ما يجب ان يظل سليماً مقدساً نعم لقد شوهت السنة اللهب اجمل ما تقتخر به فتاة وانى لها ان تقدر ذلك في لحظات كانت تعيش فيها النعمة على التقاليد الجائرة ، لقد انتقمتم منها وانتقمتم من الاسرة ومن عمارة نذير الشوم ، لقد كان غراب بين جاء ليحطم اسرة ويذل قوما ويدفع جبراً وبطريق غير مباشر فتاة الى الانحراف ما كانت هي ولا بيتها لتنصاع له لولا هذه العادات القاسية ، لقد كان عمارة صانع مأساة كان هو سداها ولحمتها ، بدايتها ومنتهاهما ، كان بطلها وبيدقها ، فارسها ومطيئها .

واستيقظت فائزة من غفوتها واحلام يقظتها الشرسة لتجد امتحان البكالوريا قد بدأ موعده يقترب فتناست وطأة التقاليد واستراحت لحين مما كان يختمر في نفسها من هواجس مؤذية . واختفى عن انظارها شبح عمارة وامتلكت نفسها وبدأت وبعد فوات الاوان تحس بثقل المسؤولية الاجتماعية الملقاة على كاهلها وبخطورة لعبة النار التي مارسها في لحظات الغضب والنعمة وبدأت تشعر بشعور من لم يكن في مستوى حفظ الامانة وصيانة العهد ، لقد بدأت تتصور بوادر الضياع الذي ينتظرها لكنها سرعان ما عادت الى

التفكير فى الامتحان من جديد عليها تجد فيه السلوى والعزاء الكفيلين يجعلها تنسى التفكير فى نفسها وفى ايام الصيف التى لم تعد تفصلها عن العودة الى البلد ، الى الاسرة الى الزواج وما ابغضه من زواج ! لقد فعلت المستحيل للتخلص منه الى درجة الانتقام من نفسها لاجل الافلات منه لقد ضحت بالعائلة حتى ولو كان وراها أب هو أبو الوفاء ... تراها كيف ستواجه هذا المصير ، كيف ستتجاوز هذه المحنة ؟ وتمر ظروف الامتحان الصعبة وتتوج بالحصول على الشهادة وما هى غائصة فى احد المقاعد الخلفية للحافلة فى طريقها الى البلدة غير عابثة بعث العابثين ولا بصخب الصاخبين اذ لها فى نفسها ما هو كفىل بصرفها عن كل ذلك فانكبت على نفسها واستسلمت لحالاتها المرعبة تفكر فى طريقة تواجه بها هذا المصير الذى بدأت تقترب منه ، كيف ستلعب الورقة الرابعة فى الشوط الذى بتى عليها أن تلعبه ؟ لقد وفقت الى حد الآن فى النجاح فى كل شىء فى الدراسة ، فى الاغراء ، فى احتكار عمارة ، فى الثبات على موقف الرفض ، فى لعبة النار ، فى أن تكون مرتعا للحيرة والاوهام تعبت بها ، فى تعلقها بخيط من سراب هو كل عدتها فى مسيرة الظلام ورحلة الفراغ التى خطت فيها بعد اولى الخطوات ... لقد بدأت تنظر بنظرة الواقع الى حياتها وبدأت تحرق ظلامها يزحف ليغطيها بمسحة من الكآبة . لقد بدأت برودة هذه الحياة تقسو عليها فتجمد فيها المفاصل وزههريرها يتصاعد ليذيب فيها آخر ما تبقى من قدرة على المقاومة والرفض ، نعم لقد كان لهذه الصراعات النفسية عليها الاثر البعيد فانهارت واستسلمت وليتها لم تفعل . لقد ادركت خضراء الحقيقة وبدأت بدورها تتصور النهاية المؤلمة التى بدأ الجميع يشتم رائحة قطراتها يحترق ليزوب على اتون الواقع ويقترب بالجميع شيئا فشيئا نحو الفضيحة والعار ولكن خضراء ما كانت لتعجز عن درء الخطر ، وما كانت لتنقصها الحيلة لرتق الموقف ولا ينقصها الدهاء لحبك المؤامرة ونسج خيوطها فى الحفاء . اذ كيف تعجز خضراء عن تدبير الامر وابعاد شبح الفضيحة ولها فى عمارة الفتى اللين المطووع والحرقة الجافة القادرة على امتصاص كل اثر للوحل والمكنسة الكفيلة بتنظيف العرض وابعاد العفونات عن ساحة أبى الوفاء ، ولكن اين لعمارة القدرة على الارتقاء الى مستوى دهاء خضراء وعلو مكرها واين له القدرة على التطلع الى آفاق ترونو اليها خضراء . انه لا يستطيع ان يكون أكثر من دمية بلهاء تنسج حولها خيوط المسرحية ويخلع عليها رداؤها ، انه لا يطمح أن يكون أكثر من



وتد صلب يدق في ارض سهلة لتشد به وبأمثاله خيام الدناءة والفجور ، لقد بات كل شيء في منتهى الوضوح امام خضراء ، لقد بات مفروضا عليها ان تخرج من هذه المحنة بسلام وان تلف بالسلام والامن اركان اسرة بدأت النيران تاكل اطرافها وبدأت العاصفة تهز اركانها فاسرعت باعلان عن موعد الزفاف واستدعت الابعاد قبل الاقارب وباشاعة هذا الخبر بين الناس ظهرت على مسرح الاحداث حركية جديدة تعمل جادة لاهثة انها لامعة تآكل الارملة انشورية التي بدأت تدخل بكل ثقلها في الميدان لامعة التي تخطت الكهولة ولكنها لم تزل تحتفظ ببقية من انوثة استطاعت ان تشد بها انظار بعض القوم من طلاب المتعة الرخيصة ، لقد تكسرت على لامعة الجرار وانجرت عليها الكراع ولعب بها الهوى الرخيص زمنا طويلا فتجمع لها من جراء ذلك كله رصيد لا تحسد عليه من الدعارة وانضافت لها مع الزمن خبرة ودهاء وشرحتها لتجد فيها خضراء خير عون لها تشد ازر عمارة وتلعب معه الدور الرئيسي الثاني . لقد بات تواجدها في دار ابي الوفاء يبعث على الشكوك ويجعل الهمس حولها يتحول الى جهر والاشارة الخفية تنقلب الى توجيه لاصابع الاتهام نحوها وحول وجودها في بيئة ما اعتادت أن تجد لها فيها مكانا لقد بدأت الجماهير تتسقط اخبارها ترى كيف ستنتج في أن يكون اللقاء في المحبة بين النقيضين اللذين لا يتفقان الا في البشرية ، كيف ستتم سحابة اللقاء بين فائز وعمارة ، لا أن يكون هذا اللقاء ولن يتم هذا التلاحم . ان الاور تبدو مستعصية لحد الآن رغم الاثقال التي حطت لرتق الموقف ولا ينقصها الدهاء لحبك مؤامرة ونسج خيوطها في الحفاء ، اذ كيف تعجز عن تدبير الامر وابعاد نسج الفضيحة ولها في عمارة الفتى اللين المطواع والحرقرة الجافة القادرة على امتصاص كل آثار الوحل والمكنسة الكفيلة بتنظيف المحل وابعاد العفونات . ولكن أين لعمارة القدرة على الارتفاع الى مستوى خبث خضراء وعلو مكرها واين له القفزة على التطلع الى الآفاق التي ترنو اليها حمالة الخطب . انه لا يطمح الا الى ان يكون الدمية تسبح حولها خيوط المسرحية ويخلع عليه رداؤها عل مرأى ومسمع منها . انه لا يطمح ان يكون أكثر من وتد يدق في الارض السهلة لتشد به وبأمثاله خيام الدناءة والفجور ، لقد بات كل شيء في منتهى الوضوح امام حمالة الخطب ، لقد بات مفروضا عليها ان تخرج من المحنة بسلام وان تلف بالسلام والا من اركان اسرة بدأت النيران تاكل اطرافها وبدأت العاصفة تهز اركانها .

وتم العرس واعناق القوم مشرئبة تسترق السمع ... ان القوم يرسلون التساؤل اثر التساؤل ترى ما علاقة لامعة باسيرة ابي الوفاء؟! ترى ما صلتها بهذه الاحداث؟ ان تواجدها وسط القوم بدأ يثير الفضول ويبحث على الشكوك . ترى لاي غرض انتدبت ولاى مهمة دعيت؟ هن دعيت لتملا فراغا ، هل انتدبت لدور وساطة؟ هل جلبت لتحول وقع فى مستوى القيم تنازل الى مستوى اقحام لامعة اوساطه! لقد ظل وجودها رمزا للحيرة والتساؤل ، ما للامعة تصول وتجول فى دار ابي الوفاء بل فى دار خضراء وهى التى لا صلة لها بها ، انها غريبة عن المكان ليست لها بافراده صلة فهى ليست من القريبات ولا من المدعوات وليست من اللواتى ينتدبن عادة للقيام بدور الماشطة لما لم يوكل لها اى شئ، من ذلك ابدا القوم يتضايقون منها يتحاشون الجنوس اليها بقطع النظر عن الحديث معها ، اذا اقبلت استدارت الوجوه الى غيرها واذا ادبرت لاحقتها غمزات النساء الممزوجة بالاحتقار وتساؤلات الصبايا الممزوجة بالهمس وشتم العجائز المملوء حقارة وحقد . كانت كل واحدة تحاول بينها وبين نفسها ان تجد مبررا لحضور لامعة لكن الحلول استعصت وظلت لامعة لغزا محيرا يرى اثره على كل وجه والتساؤل حوله على طرف كل لسان واذا الفراغ الذى يلفهن خال الا من النظرات الحيرة البلهاء التى تطارد لامعة وترقب حركاتها وتعد خطواتها وتحصى انفاسها كأنهن لم يجتمعن الا لهذا . ويجيء المساء وينصرف القوم الا اقلهم ممن اهن فى البقاء رغبة يدفعها الفضول او تحركها غيرة او يدعو لها مكر وتأتى لحظات اللقاء وتخلو الحجة الا من عمارة وفائزة فى الداخل وخضراء ولامعة فى الخارج ويبدأ حوار الصم وحديث الصمت ليس لرجعه صدى ولا لتناغمه صوت ، لقد خيم على البيت صمت رهيب استمر زمنا خالته خضراء قرنا وبدا للامعة امدا يسيرا وراته فائزة انتصارا وفوزا ورآه عمارة تتويجا لجهاد طويل تعمق فيه الذل وقويت فيه المهانة ومات فيه كل اثر لارجولة . لقد عاش الفراغ ولمس آثاره بالصد عنه والانغلاق دونه والاعراض عنه ، لكنه كان حافظا لدوره ذكيا فى تطبيقه اذ اسرع الى بندقيته واطلق منها « الوجه » الاول ضلعة الانتصار « وجها ثانيا » هو عنوان ضمان . عجبا والله ان عمارة يحسن اطلاق الوجوه ... ! لقد عاد اثرها الى العرين الذى سكنته قبله الثعالب ليجد لامعة قد انصمت بعد الى الحجة لتهدى المظاهر اللائقة للعبة الصباح لتسر بها اثار لعبة النار واستمر الليل يرخى سدوله

فى رتابة مملّة تتجاوب فى اصداؤه تساؤلات القوم ولهفهم الى التطلع الى ما عسى ان يأتى به الغد وينجلي الليل ويهرع القوم فى الصباح ليجدوا الفراغ فى المدسى قد عبى والفراغ فى العيون قد امتلا فانمقدت الالسن وانقبضت الشفاه وانطوت الصدور على ما تسرب لها من اسرار وتضى الاسابيع وتتتابع الاشهر لا يلتقيان إلا لينفصلا ولا يتقابون الا ليتباعدة . ترى فائزة فى تواجده القيد الذى يكبل خطواتها والوثاق الذى يحول دون انطلاقها والثقل المعنوى الذى تشعر بشدة وطأته عليها ويراه عمارة تواجدا لا بد منه وجواز عبور يضمن له القرب من خضراء تلك التى كان فراغها اوسع من ان يملأه أبو الوفاء ، لقد بات وجود عمارة امرا لا نقاش فيه وقد بدأت بوادر الانحراف تشتم ومهمة ملء الفراغ بادية للعيان ... وبذلك بدأ الوفاء يداس فى دار أبى الوفاء لقد أصبح صدا العفونة يغطى تصرفات خضراء ، لقد حزن فى نفس خضراء ان يظل عمارة مصدودا ... لقد اصبحت لغتها امرأة بعدما قصرت دونها طاقة أبى الوفاء ... من ذا الذى ملا هذا الفراغ سوى عمارة . وتشاء الصدق ان تجعل من فائزة ذات يوم ثالث من تضمهم جدران المنزل فائزة التى اعتادت ان تلف صيانتها بالصمت والانطواء والعزلة لقد طاب لهذا اليوم من ايام الحريف ان تخرج من عزلتها وقررت ان تتحرك فتحركت ببطء الى حيث همس آتئين ظننته فى البداية أبا الوفاء يتنهدا للقبولة فتسمرت مكانها .

وتحولت الى حيث اعتادت ان ترى عمارة فى مكانه من الغرفة القبليّة فلم تجد فى الغرفة الا آثاره . عندها قررت ان تزحف نحو المكان حيث اعتاد ان يكون الشيطان ثالث خضراء وفتاها . ولينكشف لها واقع اصرار الام على التشبث بعمارة ، فتسمرت مكانها لهول ما انتابها من ذهول وجحظت عينها من شدة ما انتابها من هول المفاجأة واحست كأن الكون قد بدأ ينكمش فيضغط على الفراغ وعليها ليضمها اليه وليطويها بين ذراعيه ويضيق عليها الحناق فاستسلمت لهول الصدمة وراحت فى غيبوبة ما لها من قرار . ولم تستيقظ الا لتجد نفسها ممتدة على سرير فى احد المستشفيات تمنحها الحياة قطرات مسترسلة من قارورة الانعاش ، فلاذت بالصمت يعقد لسانها وبالعجز عن الكلام يطبق شفيتها وهول الفاجعة ينغلق عليه صدرها لينطوى على سر دفين ظل يلازمها ينغص عليها حياتها . لقد حاولت جاهدة ان تكتم ما بنفسها وقواها تخور وقوامها يذبل وضو عينيها يخبو . لم تقو فائزة على تحمل

الصدمة ولم تقو على الثبات امام الكارثة ولم يستطع صدرها الصغير ان يصبر على ما بداخله من اسرار تقض مضجعا وعز عليها أن ترى أبا ينهار لانهار سمعته واصرة تتلاشى وبذرة سوء تنمو في ارض طيبة فتسرع بالنماء فلا تجنى منها غير الاشواك ولا يفوح منها الا العفونة ، بدأ حالها يزداد سوءا وبدأ أمل الاطباء في انقاذها ضعيفا ونصح أبو الوفاء بالعودة بها الى المنزل ، قالت لابيها وهو يبكي بدموع من دم على فلذة كبده يراها تتلاشى ولا قدرة له على صد الموت عنها . واستمرت في غيبوبة طويلة خالها الاب بداية النهاية وفجأة فتحت عينيها فاستقبل الاب انفتاحهما بلهف وحرقة وانحنى عليها مستكشفا حالها سائلا عما تريد فازداد منها قربا ولأول مرة بعد تلك الغيبوبة الأولى تفصح فائزة بكلام مفهوم وصوت يسمع قالت اين انت يا ابتاه تعال اقرب اجلس بجانبى واصنع الى : ان ببلعتك المرزوقية مسمارا قد علق به الصدا فاسرع بازالتة وان بعنقك حبلا من مسد فאלقه في النار وان في البيت طيف امرأة عزيز فصد دونه ابواب نعمتك ، قالت ذلك وارتعشت منها الشفاء وانطبقت منها الاجفان وارنخت منها المفاصل فاسرع الاب الى ضمها اليه طويلا وطبع على جبهتها قبلة الوداع ، وماتت فائزة فتركت في القلب لوعة وفي البيت فاجعة وفي الاقارب حسرة وفي الأسرة فراغا ، ماتت فائزة وبين ضلوعها سر دفين لم يعلم رموزه الا أبو الوفاء ، لقد بكأها الاب ورثاها الميران وندب حظها الاقارب وتحسر لشبابها كل من بلغه نعيها ، لقد ماتت فائزة ضحية تقاليد آن لها أن تتطور في نطاق المعقول من الدين والاخلاق والقيم ضحية تقاليد عمياء اغمضت عينيها عن طرق التربية السليمة فقسفت وتجبرت وتعسفت ولم تجن من كل ذلك غير الحسرة والندامة ، لقد قاد تعسفها الى الانحراف ، لقد ماتت فائزة ضحية أب وقع بين مخالف نمرة شرسة استطاعت أن تغطي طبيته بالحث ، ماتت فائزة ضحية ما اعتاده وسط القوم من تسميات مبكرة في الخطوبة ، ماتت فائزة ضحية الحرص الابله على الزوج من القرىبات رغم عدم التكافؤ وضحية التسلسل الاعمى في توجيه المواطنين ، وفرض الاحاسيس ودفع الميول في غير المسار الذي تريد وبموته عاد الفراغ من جديد يلف كون أبي الوفاء . وهكذا كان الفراغ البداية والنهاية . وكان الفراغ المنطلق والمقصد وكان الفراغ الوجه والمدبر وكان الفراغ في النهاية صنائع المساة . ترى متى يعمر فراغ هذا الكون ومتى تصد مسيرته ويقوى ابن آدم على ان يملأ فراغ نفسه ومحيطه ودينه .

محمد التهامي بوطبة

## السر ولعبة الصمت

« ما بك ساهم يا عاشور .. تمد رجلتك على الأرض الترابية .. تسند ظهرك الى الجدار الطيني البارد ، وتلقى بعينيك فى فضاء غرفتك الضيقة الوحيدة ... لا تجارة لك تخشى على كسادها ، ولا حقل تخاف عليه من سوء الموسم ، ولا أولاد تفكر فى غدهم .. فأين أنت الآن ؟ هانتذا قريب منى كل القرب ، نتقاسم الطعام والفراش ، ولكنك بعيد .. بعيد .. منذ شهور وأنت فى حالك هذه .. غارق فى سهومك ، تتنهد بين الحين والحين ، فلا أجده ملاذا غير الصمت .. أشاطرك اياه أيضا من دون أن أجده ما أغرق فيه نفسى

جلست قباليته .. نظرت الى الأرض المتربة ، ثم حولت ناظريها الى السقف والجدران .. كل شئ ينضح بالفاقة والبؤس ، ولكنه القدر .. « ماذا تستطيع أن تفعل ؟ وكل شئ ، فى هذه الدنيا ضدك - فلن تنفعلك آهاتك .. الظروف أكثر منى ومنك » .

قال لزوجته من دون أن ينظر اليها

http://Arc: // ...  
- فاطمة .. حضرى لنا فنجانا من القهوة .

« القهوة ! ستة أشهر لم يدخل جيبك درهم .. وتطلب القهوة ! لك حاسة سادسة اذن أدركت أن لدينا القهوة والسكر .. الاصدقاء كثيرون .. كلهم يسألون عنك كل يوم .. يطرقون الباب ، وأيديهم مثقلة وهم عائدون من السوق .. كلهم يسألون عنك لأنهم أنت .. سبقتهم الى رفع رأسك .. ايه لم يشاركوك صراخك يوم صرخت ، ولكن قلوبهم تدمى من أجلك .. والآن ماذا هنالك يا عاشور ؟ أخبرنى فانا زوجتك .. ثمة أمر ما قد تبدل هذه الايام فماذا حدث يا ترى ؟ ما ذا حدث ايها الجبل الشامخ !! ايها السر ! ماذا يعتلج فى صدرك الآن ؟ » .

- ما لك لم تتحركى ؟ ألم تسمعى ؟ ماذا طلبت منك ؟ .

أيقظها من غفوتها .. فتحت عينيها الواسعتين .. ونظرت اليه متأملة :

- سمعت يا عاشور .. اننى ذاهبة .

نهضت بشاقل .. وقفت أمامه كتمثال .. مضت لحظات وهو ينظر اليها مستغربا :

- ما بك يا فاطمة !

يا عاشور أيها السر الكبير ! أيها اللغز ! خلف عينيك ظلال خطر تنوقه .. أنت زوجي وأنا زوجتك .. منذ شهور ستة سيطرت عليك هذه الحالة .. بقيت أسبوعين هكذا .. ثم سقط ابننا الأول فى شهره الرابع .. آه لو كان حيا الآن .. وهانتذا اليوم ترجع الى سهوك وصمتك .. فلماذا منذ ذلك اليوم تركت العمل ، وغاضت البسمة من شفتيك .. وتبدلت .. كم تبدلت يا عاشور !

- فاطمة .. ما بك ؟ تكلمى .. أنت مريضة ؟ ما بك واقفة أمامي هكذا ؟

- أردت أن أقول .. لا .. لا .. لا شئ .. ليس ضروريا ..

- ماذا .. ماذا أردت أن تقولى ؟؟ حيا انطقى !

توقفت الكلمة على لسانها .. تجذرت .. وأحست بجفاف فى حلقها ، فاستدارت ، وذهبت تسير باضطراب .

حزمة نور باهتة تندس من الكوة الوحيدة .. تأملها عاشور .. نظر حوله .. فأحس بخواء عجيب .. شعر بالوحدة والغربة والضياع .. نهض من مكانه ليقترب من الكوة .. وقف يرقب الطريق الترابية ، فلفحته نسمة باردة من نسيمات أكتوبر .. أغلق الكوة من خلفه .. وراح يذرع أرض الغرفة .. ولكنه لم يطق الصبر ، فغادرها .. قطع الفناء الصغير الترابي ، وقف جانب الباب .. الشمس لما تغرب بعد ، والسابلة تقطع الطريق بين الحين والآخر تلقى عليه التحية فيردها جافة باردة ..

« السى عمر يركب حماره العجوز .. انه ذاهب الى النبع ليجلب الماء .. أب لعشرة أطفال .. أیه مسكين السى عمر .. كيف لا يطاطر رأسه ؟ ماذا يفعل المقهور ! »

تأمل عاشور طفلين بائسين من أبناء القرية .. عيونهم يكمن فيها الحرمان  
والأسى يلعبان بالحجارة والحصى .. يصنعان بيوتا كما يبدو .. يبنون  
قرية صغيرة ... قرية بائسة أيضا .. هذا ما تتصور مخيلتهم .

دخلت زوجته الى الغرفة وهي تحمل ابريق القهوة :

— عاشور !! عاشور !!

خرجت من الغرفة .. أعادت النداء فى ساحة الفناء ... وقفت جانب  
التنور .. داست على أغصان يابسة لم تحمل جسدها ، فسقطت وهي تتأوه .

سمع عاشور صراخ زوجته .. فالتقى بنفسه بين الأغصان .. مد اليها يدا  
قوية ليتنشلها .. نظرت اليه بعينين دامعتين .. أرادت أن تمنقه ، أن ترمى  
بنفسها فى حضنه ، ولكنها أحست بالقرب .. فهم عاشور فتأوه بعمق ..  
دخلت فاطمة الغرفة وهي تسمح خدوش ساقها .. وعندما التفتت لم تجده  
خلفها .

ARCHIVE

<http://Archiv2-Sakhrit.com>

سواء القرية خريفية هذه الايام .. الجو محمر على غير عادته .. الريح  
تبدو باردة .. الأرض هشة تحت الأقدام .. والوجوه من حوله تشع بؤسا  
ساحات القرية الواسعة بدت لعاشور ضيقة .. تصورها قيودا تحيط بعنقه ..  
تخنقه .. اتجه الى دكان الحاج على .. ذلك المعجوز المنكوب .. لا يفارق  
دكانه ليل نهار بعد أن قتل اولاده الثلاثة فى صطيف منذ تسع سنين ..  
ماتت زوجته بعد ذلك بشهر واحد حزنا عليهم .. ثمة مجموعات من الرجال  
يجلسون على الرصيف .. لا يلعبون الدامة ولا الدومينو كعادتهم .. يلعبون  
لعبة الصمت الجديدة التى انتشرت هذه الايام ..

انقل خطواته عندما وصل الى جانبهم ، تفرس فى عيونهم ، فاحس  
بتسرب الآلام فى أعماقهم .. تابع سيره دون أن يلقى التحية .. خطواته على  
الأرض كانت ترسم له أسئلة كثيرة ، يلفها غموض وخوف .

أحس بعياء شديد ، توقف عندما ابتعد عن طريق البقرة الوعرة .. ثم نظر حوله .. جلس على الأرض .. تمدد على جنبه مسندا رأسه الى راحة كفه .. نظر الى السماء بطرف عينه فرأها تزداد حلكة ، ورأى فلول السماء تزحف على صدره بعزم .. أخفض بصره فوجد إحدى أصابع قدمه تطل من حذائه القدر فتأوه بعمق ، وجلس لاخا كفيه حول ركبتيه .. ثم فكهما وضرب الأرض بجمع يده .

### - 3 -

« كلب .. انتم » الأرانب « لا خير فيكم .. لا تعترفون بالخير .. لولاي لمت من الجوع » « هه أنا الكلب اذن يا سى ؟ الكلب الذى تتحدث عنه يأكل اللحم كل يوم ... ينظف كل يوم .. أما نحن فمرب ولسنا » أراب « كما تقول أيها الأفاق القدر .. نحن نعتزف بالجميل لمن له يد علينا .. أما أنت فلثيم ، وأقل من الكلب ، فالكلب وفى وأمين على كل حال .. أرضك هذه التى تستغل فيها عرقى وجهدى ليست لك .. هى أرضى أنا .. أرض أبى وجهدى .. أجدادك لم يكونوا هنا عندما كانت هذه الأرض .

أراد عاشور أن يقول هذا كله ، ولكنه لم يقل الا كلمة واحدة :  
« نحن عرب ولسنا أرانب ... »

أحس المعمر بالسخرية الحادة ، وابتسم بقية الفلاحين .. أبناء قرية عاشور ، وهم يسقون الأرض من دون أن يرفعوا رؤوسهم .

نظر الى المعمر بحقد وسأله :

— لماذا غبت البارحة اذن ؟ .

— من أجل يوم واحد غبته تشتمنى !! تعيرنى بعروبتى .. أعمل عندك منذ الفجر حتى غياب الشمس ، مقابل ما لا يسد الجوع .. ثم من أجل يوم واحد تقول كل ما قلت !! — زوجتى كانت مريضة .. أسقطت طفلها الأول .. حملت حزمة حطب على ظهرها ، فسقط الجنين .

كاد يغلبه الدمع .. ولكنه تماسك أمام المعمر العجوز .. لم يشأ أن يظهر ضعفا عندما سمعه يرطن بعربية ثقيلة :



- انتم العرب كالارانب .. هل غرست صغيرك منذ الليلة الاولى ؟ .

احس عاشور بجوع لم يحس به من قبل .. راحت أسنانه تصطك بقسوة ..  
تمنى أن يقتحمه لينهش لحمه اللين .. تشنجت أصابعه .. جفت دموعه  
فجأة .. وراح يتملى خديه الاخمرين ، وأنفه الكبير الذى يتوسطه .

- غرسته من الليلة الاولى .. الرجال هم الذين يفرسون الرجال ..  
افهمت أيها النذل !

منذ ثلاثين عاما وانت تحاول انجاب طفل واحد ... لكنك لم تغلق ايها  
الدمين !

كان عاشور يصر على كل حرف يقوله .. كان يحس أن عينيه تقدحان  
بالشرر .. وأن قلبه ما زال يضطرم بلهب لن تطفئه الايام أبدا .. فملا  
فمه ببصقة وقذفها بين عينيه ، ثم قال له :

- أيها المعمر القذر .. سنرى من منا الكلب .. فالايام بيننا .

عقدت الدهشة لستان الجوع .. احس أن الدنيا تدور وتدور بطريقة  
جنونية : فلاح عربى .. ماذا ؟ يبصق فى وجهه ! أعرف فى حلم أم فى حقيقة ؟  
لا بد أن شيئا فى هذا العام قد أفقده التوازن .. ومن دون شعور مد يده  
الى جيبه ليخرج منديلا ، ويمسح جبهته .. قال لعاشور بعد أن كاد يغيب عن  
بصره :

- مه .. ستموت من الجوع .. ستقبل قدمى غدا .. سوف ترى ..

- 4 -

رفع عاشور رأسه الى السماء ، وتنهّد « ستة شهور .. لم أمت من  
الجوع حقا .. ولم أقبل قدميه .. هه ابن الكلب .. ولكن الى متى سابقى  
هكذا ؟ » هز رأسه يمنة ويسرة ، ثم أكمل فى سره : « غير معقول ..  
جدورهم أمتدت الى أعماق الأرض .. لديهم السلطة والمال .. وكل شىء ..  
أما نحن فماذا نملك غير الأحذية الممزقة ؟ والجيوب الفارغة ؟ والعيون  
المطفأة ؟ والتنهدات ؟ منذ تسع سنين تحركنا ، فداهينا الموت والتعذيب ..  
ايه . الجروح لما تندمل بعد .

« ماذا لو مات ربنا أو نصفنا لكى يبقى الآخرون بعدنا » احراراً ؟  
هكذا كان يردد السي مصطفى (I) ، ولكن ما معنى أن يعيش الانسان حراً ؟  
هل يعنى ذلك أن يبقى العرب ويرحل وقد ولدوا هنا ؟ كيف يتركون  
السلطة التى فى أيديهم ليسلمونا إياها ؟ غير معقول ! هذا كلام غير  
منطقي .. ولكن لم نعيش أذلاء فى بلادنا ؟ كلب المعمر العجوز ياكل الطيب  
من الطعام ، وينام فى مكان وثير .. ويفسلون له كل يوم .. أما أنا فلا أملك  
حذاء يستر قدمي .. القائد السي مصطفى يقول « نحن نملك الايمان »  
الايمان ! هل هو أقوى من طائرات العدو ؟ سنرى !!

بدأت الريح الباردة تنفخ فى ظهره .. انتبه فوجد الظلمة تحيط به .. نهض  
من مكانه .. واتجه نحو داره .. كان يسير غائبا عن نفسه كشبح وسط  
الطرق المظلمة الوعرة .. ينظر بعينه الى اللانهاية ..

اقترب من منزله ، لمح بصيص نور يتسلل من شقوق النافذة الوحيدة  
اقترب من الباب ، دفعه محدثاً صريحا ، طالما ألفه منذ سكن هذه الديار ..  
هه .. يسمونها دارا .. هي ليست أكثر من خربة لا تصلح حتى للدجاج ..  
خفض رأسه كثيراً ، واجتاز عتبة الباب .. أغلق خلفه بالمزلاج .. سار  
خطوات فى الغناء .. ثم رجع ليتأكد أن كان قد أغلقه جيداً .

دخل الغرفة بهدوء ، لم تكن موحشة من قبل كشأنها الآن .. زوجته كانت  
قابعة فى احدى الزوايا ، كشبح جامد لا يتحرك .. ذبالة المصباح الزيتي  
تضيء بخجل ، لا تكاد تقوى على محو الظلمة .. اشتد وجيب قلبه عندما  
جلس ..لقى تحية مختصرة ، فسمع ردا خافتا .. سحب المائدة الصغيرة ،  
وعب فنجانا من القهوة .. صوت القهوة المصبوبة يجرح الصمت الثقيل ..  
عبه بنهم ، ثم راح يتأمل وجه زوجته الأسمر ، كانت الكآبة تكسوه ... ترسم  
ظلالا فى عينيها الواسعتين .. عندما التقت عيونهما اغمضتهما .. ثم اطرقت ..  
أحست أن هموم العالم تنكس فى صدرها ، وأن الخطر يحرق بها أكثر ..  
اراد عاشور أن يقول شيئا .. ولكنه تردد .. شعر أن كل كلمة خيانة فى  
حق هذا الصمت المقدس ، الذى خيم على كل رجال القرية .. « ساعة أو  
ساعتان .. ويتبدل كل شيء .. آه .. ماذا يحمل الغد من مفاجآت ؟ » هذا هو  
السؤال الذى طالما ألح على صدره كما ألح على غيره ممن يماثلونه هنا ..

(I) اشارة للشهيد مصطفى بن بو العيد .

الجروح لما تبرأ بعد .. ما من أسرة الا شاركت فى دفع الثمن .. الرجال الشقر فقدوا كل ثقة فى الجزائريين .. يحيرهم كيف ينزفون الدم فوق المسامير ولا ينطقون بكلمة ؟ كيف تجتث أعضاؤهم ولا يبوحون ؟ جاء دورهم الآن .. سيدفعون أضعاف ما دفعنا .. سيعرفون من هو هذا الفلاح الجزائرى الذى يستغلونه .. ويكافئونه بكثير من الاحتقار وبقليل جدا من المال .. نحن العرب كالآرانب .. صدقت أيها المعمر العجوز .. سترى عند هؤلاء الأرانب أسودا .. غدا .. آه .. ماذا سيكون عندما تنطلق الطلقة الأولى ؟

— فاطمة !

اشتاقت الى صوته .. اشتاقت الى حديثه .. الى بسمته .. « ايه يا عاشور ! .. أين تلك البسمة التى غادرت شفئك ؟ لماذا رافقتك التقطية هذه الأيام ؟ حتى صارت جزءا منك .. قل أى شىء .. اشتمنى .. أضربنى .. أفل بى ما تريد .. ولكن لا تبقي صامتا هكذا » .

— ماذا يا عاشور ؟ ماذا ؟ تكلم ! هل تريد شيئا ؟ .

اقتربت منه أكثر ، قلبها يفيض بشوق اليه .. الى فحولته .. آه يا عاشور ستعود الى صمتك من جديد !

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— اننى متعب يا فاطمة .. متعب .

« أعرف أنك متعب يا عاشور .. وجهك فقد نضارته .. وعيناك فقدتا البريق .. ولكن ماذا وراءك يا عاشور ؟ »

اقتربت منه أكثر .. حتى كادت تلامسه :

— عاشور !

نظر الى وجهها الأسمر المدور .. والى عينيها الواسعتين ، وشفتيها الطريتين، وصدرها الريان الممتلئ .. نظر اليها وكأنه اكتشف مفاتها للمرة الأولى .. اشتهى أن يدفن وجهه فى صدرها .. ويطلق العنان لعينه .. ولكنه لم يفعل شيئا .. وانما هز رأسه وعاد الى صمته ..

— عاشور بح لى بسرك .. سأساعدك .. أنا زوجتك .. مصلحتك مصلحتى .. سأبذل من أجلك حياتى وحياة ..

وتجمدت الكلمة على شفرتها ، وبدأت الدموع تنهمر بغزارة .. كان نشيجها موسيقى خزينة تتردد في أرجاء الغرفة « ويلي !! لماذا سبقني لساني الى ذلك ؟ ألم أعاهد نفسي أن أترك الأمر مفاجأة له ؟ » واقتربت من يده ، وراحت تلمسها بشوق .

– ماذا ؟؟ تقولين ؟ يا فاطمة ! حياة من أيضا ؟ .

– ابنك .. ابننا يا عاشور .. أتمنى أن يصل بسلام هذه المرة .

– 5 –

العيون معلقة بين شففتي السى مصطفى .. كان يتحدث بهدوء واتزان :  
« الايمان وحده سيساعدنا .. الايمان يمنع الاعاجيب » نهض جسد هزيل من بين الحاضرين ، فتح فمه بعناية ، وقال :

– أنسيتم بطشهم عام خمسة وأربعين ؟ .

ابتسم السى مصطفى بملء فمه .. لم يجب على التو ، بل راح ينتقى كلماته ، يرسمها رسماً ثم أجابهم :

– مم تخافون ؟ من الموت ؟ أنت نفسك هل أنت بحى حقا ؟ الحياة ليست أن ندب على الأرض .. هذا لا يكفي .. الحياة أن تكون حراً فى بلدك .. أن تحس بكرامتك .. أن ترفع رأسك من دون أن تخاف .. ومع هذا فمن يطلب الموت توهب له الحياة .. هكذا يقولون .. انظروا الى اخيكم عاشور .. لقد رفع رأسه قليلا .. فهل مات عندما فعل ذلك ؟ .

جلس الجسد الهزيل ، وهز رأسه موافقا .. أراد عاشور أن يقول أشياء كثيرة .. تردد فى الوقوف .. ولكنه أثر الصمت « هو لم يمت حقا من الجوع كما قال المعمر .. ولكن الى متى يستطيع أن يستمر هكذا ؟ لا عمل ولا كرامة .. »

كان السى مصطفى أدرك ما يدور فى رأس عاشور ، فقال له :

– حقا لم يمت عندما رفع رأسه .. ولكن الى متى يصبر على هذه الحال ؟؟ انه ليس بحى ولا ميت .. فاما أن يعيش حياة حقّة .. واما أن يموت ..

عاشور هو كل واحد منكم .. هو أنتم جميعا ولكنه سبقكم فرقع رأسه قليلا ..  
علينا ألا ننسى أن عدونا عنيد ، ولا يفيد معه اللين أو الرجاء ،

وزعت مجموعات من الأسلحة والذخيرة على الرجال .. وعندما قدمت الى  
عاشور حصته ، رفع رأسه وقال للسى مصطفى :

– أيها القائد أنت تعرف داري .. تعرف انها لا تتسع لابرة أخفيها ..  
غرفة واحدة لا تكاد تكفى لرجل اذا قرر أن يمد رجله .. فاين أضع هذه  
الأسلحة كلها .

لم يجب السى مصطفى ، فالتفت السى أحمد (I) الذى كان الى جانبه :

– من يملك أفضل من دارك يا سى عاشور ؟؟ الخم الذى تسكن فيه أفضل  
من مساكن غيرك بكثير .. المهم أن تدبر الأمر .. وأن تكمل الطريق .

ابتسم السى مصطفى وأكمل :

– اياك أن يتسرب الخوف الى قلبك يا سى عاشور .

ابتسم عاشور ابتسامة عريضة فارقت فيه منذ أمد طويل .. ثم أطلق  
ضحكة تعبق برائحة الألم والأمل :

– هات يا سى عزوى .. سأخبرها فى صدرى فى أى مكان .. وليكن بعد ذلك  
ما يكون .

نظر اليه مصطفى نظرة شاملة ، ثم هز رأسه قائلا :

– اسمع يا بنسى .. اياك أن تحاكم الأمور بعاطفتك هكذا فكر جيدا قبل  
كل خطوة تخطوها .. هل تعلم ماذا يعنى أن تخبىء عندك أسلحة ثورة ما  
زالت تحبوا ؟ .

جلس عاشور فى مكانه .. كانت كل العيون المصممة تنظر اليه والى السى  
مصطفى .. راح يبحث عن مكان يخبىء فيه حصته هذه « أين يا ترى ؟ أين ؟  
هل أحفر بثرا فى وسط الفناء هل أدفنها فى التنور وأبنى فوقها ؟؟ انه أمر

---

(I) اشارة الى الشهيد السيد أحمد عزوى .

محير !! ولكنه سرعان ما عادت الابتسامة الى شفثيه فهز رأسه وغادر المكان ..

- 6 -

- فاطمة .. انهضى وانزلى هذه البطانيات .

نظرت الى طبقة البطانيات العالية .. تأملت الخزانة .. هي تشك فيها منذ زمن .. منذ غابت عن الدار .. بعد اسقاط طفلها .. رجعت لترى الصندوق نعم صندوق عرسها .. وقد أفرغ كل ما فيه ... ووضع فوق احدى الحشايا .. بكت يومها بحرقه .. حاولت أن تفهم السبب الذى جعله يفعل ذلك .. سألته عما وضع فيه .. ولكنه قطع عليها الطرق كلها .. قالت لنفسها : لا بد أن فى هذا الصندوق سرا . ولكن ما هو ؟

- فاطمة .. يا بنت الناس .. انهضى وافعللى ما قلت لك !

- انى ناهضة يا عاشور .. صحيح .. ماذا طلبت منى ؟

أشار بأصبعه الى طبقة البطانيات .. وقال بشئى من القسوة :

- انزلى كل شئى كل شئى ، افهمت : ثم أبعدى الطاولة عن باب الخزانة .

« ايه ! خزانة هذه الحفرة المظلمة فى الجدران ، بابها الواح من الخشب العتيق .. اشتريتها من سوق القرية .. وصلتها بعارضتين .. ما زالت المسامير المعوجة الصدئة تحيط بجانيبيها .. »

أحسست فاطمة بكثير من الاضطراب والخوف .. سينكشف سر عاشور اذن ! هذا الصندوق المغلق الذى يشبه صاحبه .. حاولت أن تتماسك .. اقتربت من الطبقة التى أشار اليها .. راحت تنزل المجموعة تلو الأخرى .. حتى أنزلت كل شئى .. فتحت باب الخزانة ، ثم اقتربت منه :

- هأنذا أنزلت كل شئى ، فهل أخرج الصندوق من الخزانة .

هز رأسه دون أن يجيب بكلمة .. ثم أخرج من جيبه مفتاحا صغيرا ورماه اليها ..

- هاكـى أفتـحيه ..

- عاشور .. ماذا أرى يا عاشور ؟ أسلحة ! أتدري لو أنهم عرفوا ؟ .

أشار إليها كى تخفض صوتها .. ثم قال وهو يبتسم ابتسامة غامضة :

- هل أنت خائفة يا فاطمة ؟

أحست أنها لم تعد تقوى على الوقوف .. راحت تقتلع الكلمات من فمها :

- أتعرف ماذا تعنى فعلتك هذه ؟

- أعرف جيدا .. لأننى لا أخاف منهم .. الموت أفضل من حياتنا هذه ..  
اننى محتاج الى التشجيع يا فاطمة .. يا أم ولدى .. ولست محتاجا الى  
التأييد .

تدحرجت دمعات فوق خديها ، وراحت تقول بأسى :

- وفكك الله يا عاشور .. لماذا تخفى عني أسرارك .. وأنا زوجتك ..  
شريكتك فى هذه الحياة .. والآن ماذا ستفعل .. أخبرنى .. ما هذه الأسلحة  
كلها ؟ .

أنقذ عاشورا وقع حوافز تحت النافذة .. وطرقة عليها .. ثم اثنان .

- عاشور .. أسمع .. نحن مراقبون ..

- لسنا مراقبين .. لا تخشى .. انهم المناضلون الذين قرروا أن يرفعوا  
رؤوسهم . حتى وإن ماتوا .. فسيموتون ورؤوسهم الى الأعلى .. افتح  
الباب يا فاطمة .. الليلة ستوزع الأسلحة .

دخل رجلان بوجهين صارمين .. بدأ يعملان بصمت وحذر .. كل شىء وضع  
فى مكانه .. ثم غابا مثل شبحين فى وسط الظلام ..

- اللقاء هناك يا عاشور ..

الدار كانت كبيرة .. مئات العيون تتزاحم لترى القائد عن كذب .. كلها تخفى أسى وتجلدا .. مساعدا القائد يوزعان السلاح على المجاهدين ... الأيدي تستلم بعزم وتصميم .. خذ سلاحك أيها الجزائري .. فساعة الصفر باتت قريبة .. ماذا تحمل الأيام القادمة يا ترى .. القائد يصافح أيدي المناضلين .. يشد عليها بحرارة .. ينظر بعيني صقر ، فيبحث في القلب أمنا وطمأنينة .. كل شيء مرسوم بدقة .. المهمات مرسومة . والبندقية تختفى تحت الجلابية .. والأقدام تسيير لتحفر الطريق الجديد في صدر التاريخ القاسي ..

دع المعمر الآن يا عاشور .. لست في مرحلة انتقام .. فما أنت فيه أكبر من الحق والانتقام .. عندما يستعر الأوار .. سيترك كل شيء ويهرب ... من الحق والانتقام .. عندما يستعر الأوار .. سيترك كل شيء ويهرب ... سيتغير ؟

الأسلحة كلها وزعت .. والمهمات محددة .. وساعة الصفر تزحف .. ورأس الأوراس شامخ نحو السماء ..

– عاشور .. متى ستذهب ؟ كفى صمتا يا عاشور !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– الليلة ..

– الليلة ! ولا كلمة تقولها لي ؟

رفع عينيه بعد أن أبعد بندقيته .. اقترب منها .. خفض شفتيه وقبل بطنها ..

– فاطمة اذا مت فحافظي على عاشور الصغير ..

بكت فاطمة بحرقة ..

– لا تقل ذلك يا عاشور .. ستعود .. ستعود لتربي ابنك .

نهض عاشور من مكانه .. حمل بندقيته بحنان .. وغاب تحت ذبالة الصباح المضطربة .. وقبل أن يخرج نظر إليها النظرة الأخيرة .. فسمح نشيجها يملأ المكان .. وكانت آخر كلماتها : « ستعود يا عاشور .. ستعود .. »



عندما حانت ساعة الصفر كان عاشور ومجموعته يتسلقون التلة المشرفة على القرية .. أضواء المركز العسكري تظهر الظلمة المحيطة بالقرية .. أصوات الجنود الشقر تختلط بأصوات الكلاب وأبناء آوى ... أقتربت المجموعة من الجدار الخلفي للمركز .. تقدم واحد منها .. طعن الحرس بمدية فى ظهره ، ورماء من فوق التلة .. تسلل الجميع .. دخلوا القاعة التى يجتمع فيها الجنود .. كانوا يعبثون ويسكرون .. كل شىء مفاجيء وحاسم ومخيف .. الطلقات الأولى كانت تلعلع فى المركز ، فيردد صداها فى أرجاء القرية المتوجسة .. سقطت الكؤوس من الأيدي المرفوعة المستسلمة .. والضحكات الفاسقة ابتلعتها الأفواه .. رصاصه طائشة أصابت كتف عاشور .. لكن عاشورا لم يسقط بلبقى صامدا .. بل أفرغ كل ما فى رشاشه على الحاضرين .. وانتهى كل شىء فى لحظات قليلة ..

وفى اليوم الثانى كان السى مصطفى يقول لمساعديه : البارحة قمنا فى الأوراس فقط باثنتين وعشرين عملية ناجحة .. وما زالت الطريق طويلة ..

زهير العلاف

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

### صدر عن دار صفاء

درب العودة : مجموعة قصصية لمحمد الحموسى الحناشى

طريق المعصرة : مجموعة قصصية لمحمد العروسى المطوى

## الأرواح فى حفل تنكرى

ترجمها مباشرة عن السويدية : منجى الردادى

تأليف : بير لافرگتيست

لم يدرك حقيقة ما حدث الا بعد الدفن وما تبعه من مراسم الجنازة ، اذ بدأ آنذاك يشعر قليلا بالفراغ المروع بعدها ، وبأنه أضحي وحيدا ، تماما وحيدا .

مشى فى غرف المنزل جيئة وذهابا . وكان الخدم يقومون بأعمالهم كالاعتاد .. طها طعامه لكنه لم يأكل منه الا النزر اليسير . لم يتغير شيء عما كان عليه من قبل . كان كل شيء تماما كالاعتاد ، كما أنسه هو . وكل شيء يذكره بأنها فارقتة .

ركن الأريكة حيث تعودت الجلوس ، والمنضدة فى غرفة الاستقبال حيث تعودا احتساء شايهما ، والكرسي المقابل ... وكل شيء فى الدار كلها ، وفى غرفتها ، وفى كل ... كل شيء فى مكانه المعتاد . وكل شيء يذكره بأنها تركت المنزل .

كانت نوتاتها موضوعة على البيانو وقد فتحت احدى ورقاتها على المقطوعة التى عزفتها آخر أمسية جلست فيها انسى البيانو لقد حاول عزفها ذات مرة لكنه لم يستطع ، ولم يوفق فيها مثلما فعلت : ولن يوفق أحد فى عزفها مثلما فعلت هى .

دخل غرفتها .. لا أحد هناك . كان واثقا من شعوره أنه لا أحد هناك ، رفع الغطاء عن طاولة خياطتها ورأى مكبات خيوطها الحريرية وخصلات غزلها ، ومزينتها (I) بما عليها من علبة مسحوق الزينة والقنينات المصقولة والمرأة الفضية اليدوية التى طالما عكست صورتها والتى لا تعكس الآن غير صورته هو ، لا أحد سواء ، لا وجود لغيره فى المنزل كله .

---

(I) منضدة صغيرة تجلس اليها المرأة عند زينتها

وفى قاعة الاستقبال وضع كرسيها بالقرب من النافذة حيث فضلت الجلوس فى أيامها الأخيرة . وهناك أيضا الوسادة التى تعودت وضعها وراء ظهرها ...

كان مروره بهذه الأشياء عذابا ممضا . لقد مر بها كل صباح عند نهوضه من النوم ، المرة تلو الأخرى ، وكل يوم كان عذابه أشد . ثقل عليه العبء حتى لم يعد يستطيع حمله ، ولم تبق له طاقة لتحمله ، فانهار وبدأ مرهقا مهموما . تغير كل شئ فيه فأصبح مجرد ظل لما كان عليه من قبل . أصبح من الصعب عليه أن يعرف نفسه . وهذا الفراغ المريع ، الفراغ ...  
مرت نصف سنة ، فسنة .

وأخيرا اتضح لديه أنه رغم كل ما وقع لا يمكن له الاستمرار على هذه الحال . لم يعد يتحمل البقاء بين كل هذه الذكريات ، ولم يكن ليحيا لذكرياته ولا ليضحى بنفسه فى سبيلها . انه يعيش لها هي ، وفى روحها .

لا .. لم تطلب منه أن يفعل ذلك ، وليس ذلك ما وعدنا به . لقد أرادته أن يكون حزنه هادئا ومقبولا ، حزنا خفيفا وساكنا ، مملوءا بالأمل والسلوان . انهما سيلتقيان <http://www.egyptianarchive.com> ثانيهما .

كان عليه أن يحاول الخروج من هذا اليأس المقيت الذى جثم عليه . لقد كان من واجبه أن يحاول .

لكنه لم يعرف ماذا سيفعل ، ولا أين سيذهب . كان كل شئ بالنسبة له غير ذى أهمية ، لكن عليه أن يقوم بشئ حتى يفادر المكان الى أى مكان آخر .

سرح خدمه . وكان عليه أن يخلى المنزل . انه سيسافر ولا يدري كم سيقضى بعيدا عن بلده ، لعلها مدة طويلة ، عليه أن يحزم أثاثه ويخزنه .

لم يكن يعلم حتى فى الأيام الأخيرة قبل رحيله الى أين سيتجه . وأخيرا ولمجرد الحسم استقر رايه على باريس . لم يستطع أن يخاطر بنفسه بزجها فى الوحدة ، ذلك الخلو الى الطبيعة الذى كان يفضلها ، انه بحاجة لرؤية الناس ، خصوصا والحال هذه .

وعندما وصل باريس نزل في فندق متواضع لم يحو كل حاجاته . لكنه لم يكن يريد نمطا آخر . جال في الازدحام . وسمع صفارات السيارات وأزيز حافلات النقل في منحرجات الطرق ، وأجراس عربات الترام التي تواصلت دقاتها بدون انقطاع في الازدحام بين الأرصفة ، وصيحات باعة الصحف المبحوحة في ضباب الخريف . فما الذي دعاه للحلول بهذا المكان ؟

مشى في شبه غيبوبة ، غريبا وبعيدا عما يجول حوله . لم يتأثر بالضجيج ولم يشده ما حوله اليه . لم يزد ذلك الا شعورا بالوحدة وسط زحام الناس وفي ذلك الانزعاج والاهتياج . لم يفكر في شيء آخر غيرها ولم يكن ليحلوا له غير التفكير فيها وربط حياته بها . واتبع نهر السين على الضفة التي تذكر أنهما مشيا عليها في يوم جميل من أيام الربيع عند أول زيارة منهما لباريس . قصد مطعمًا تعودا آنذاك أن يأكل به . لم يقم في ما عدا ذلك بغير التطواف العشوائي بين صفوف المنازل المتسخة ، مغمورا في الضباب الرطب الذي لم يخف أبدا ، بلا هدف معين ، منذ أن استعاد تجربة ذلك الماضي .

كان الهواء دبقا من شدة الرطوبة وكأنه في مغسل ، يبدو أحيانا عالقًا بالشوارع أصفر كالكبريت . وكان القار على الطريق زلعا من الوسخ والرطوبة ، حتى ان الانسان يشعر وكأنه نزل الى عالم سفلى ، الى عالم خيالي في أسفل شيء ما ، مملوء بحياة لا يمكن تحديدها . هكذا حتى المساء حينما اشتعلت الأنوار وبدأت مصابيح العربات تغمر القار ، والاعلانات الكهربائية تشتعل وتنطفئ ، وتدب متسللة على طول الأزقة . كل شيء أصبح مسعورا ، محمومًا في العتمة وكأنه في اهتياج .. الناس تبدلوا وأصبحوا متوترين تبدو على وجوههم الحيوية ، يزدحمون أمام المداخل المضيئة ، وبدأت بائعات الهوى يجلن على الأرصفة ويهمسن لمن يعترضهن ، يتضاكن . وخلفهن في مكان آخر اندفعت العربات الفخمة بسيدات ظهرن في زينتهن المسائية وفرائهن الفاخرة كأنهن حيوانات ضخمة . انبرت المقاهي بمصابيح مبهرة وامتلأت بروادها المندفعين منها واليها في تيار منتظم . كان كل شارع يعج بالحياة تحت الأشجار الجرداء ووسط روائح المساحيق والبنزين .

دخل الطرق الفرعية التي تؤوى عادة المجرمين ، ومشى آمنا .. ابتعد كثيرا عن الشوارع الكبيرة واستمر يمشى . انحصرت أفكاره حولها ، أفكاره الساخنة المثقلة . أخرج السكين التي تعودت استعمالها كمبراة لقلعها ، السكين الصغيرة من عرق النؤلؤ التي حملها دائما معه في جيب سترته حتى يتحسسها . شعر وكأنها كانت بالقرب منه ، وأنه أحس بها . لعله كانت هناك بجانبه .

وأخيرا ابتعد حتى لم يعد يعرف أين هو . فأخذ القطار التحارضي للعودة الى محل سكناه . وقف في العربة المكتظة بالركاب حيث كانت كل المقاعد محجوزة . وجوه تعب شاحبة . شد بيده في العروة ( I ) الجلدية ونظر أمامه كالآخرين ، الى النفق ، الى القطر على الجدران بمصابيح الصغيرة . لقد وخط الشيب صدغيه ، وفي ما عدا ذلك لم تظهر عليه علامات خاصة بالكبر . دخل في الزحام مع الآخرين خلال البوابة وصعد الدرج في الهواء الخائق ، وعاد الى مكانه بالفندق .

دخل الشتاء بأمطاره التي تكاد لا تقطع . لكنه عود نفسه بالمطر حتى أصبح يرى المطر كأنه ظاهرة ملازمة لهذا الفصل . لم يتأثر به بل بالعكس لأم مطر النهار مزاجه . لم يكن يرغب في أي نور أو فرح . أراد أن يعيش في انطواء ، في هذا الكفهرار الهادي ، وبهذا القلق المتواصل وشبه النائي حوله . لم يعد ينتظر أي فرحة من محيطه ، ولم يعد ذلك ممكنا له ، عليه أن يعيش ، فقط أن يعيش .

استمر كالمنعزل دون أن يخالط الآخرين ، مختبئا كما يمكن لرجل أن يكون في مدينة كبيرة ، مكذرا بين الناس .

استطاع أن ينفرد كل الانفراد بآلامه ، ووجد في ذلك سلوى عظيمة ، في عزلة مع أحزانه ، مع ما أحب . استطاع أن يعيش في عالمه ، مهما كان ذلك العالم .

( I ) العروة : السير الجلدي الذي يمسك به الراكب الواقف في العربة حتى لا يسقط .

وذلك الاهتياج ، الصخب المتوتر ، كأنه أسدى على النفس نوعا من الارتياح . لعل ذلك يحصل فى الغالب عندما ينقطع رجل مثله عن المشاركة فى أمور هذه الحياة ، عندما تقف تماما على حدة . عندها يحس بشىء من السكون المعتم .

أخذ كليا الى الماضى ، كما أراد .

كثيرا ما كان يجول طول نهر السين عند المساء ، فيمر على نوتر دام فى شبه الغسق والسكون الذى خيم على الرصيف ، ويرى ساعة المحطة تضىء عن بعد . تذكرها .. تذكر انها مستريحة بعيدا فى الشمال - فى الأرض الباردة المتجمدة من الجليد ، متروكة لتلك الأرض ... بعيدا ، بعدا لا نهائيا عنه .. لعل الثلوج تغطي قبرها ، بيضاء لم يحركها انسان .

هى التى أحبها ، هى التى كانت له ...

الآن مغمورة فى التراب . كأنها منسية .. لكنها دائما ، دوما حية فى ذاكرته المحبومة .

نعم ، لقد كان معها - كل الوقت . ما زال حية يتأجج كالعادة ، مثلما كان فى كل حياته ، وقد أصبحت الآن شعلته أوضح وأبقى بعض الشئ . لقد استحال الى شئ ، اسمى ، السى شئ روى قد تحرر نهائيا من كل ما هو مادي .

نعم ، فكر فى حبه .. تمثلت أمامه كل أطوار حياته .. كانت حياة عجيبة ، كذلك بدت له مملوءة بعاطفة واحدة عظيمة ، كرسى لانسان واحد ، لها هسى .

أصبحت عاطفته نحوها هى التى تقرر مصيره ، وما زالت وستستمر كذلك الى وفاته . سلم كل شئ للحب ، كاملا وغير مقسم . وكان سعيدا بذلك ، وما زال سعيدا حتى بحزنه ، بحرمانه المريع . كان ذلك هو المذبح الذى قاده نحوه مرة يد لا مرئية ، والذى أصبح يعتقد به . كان يمكن للانسان أن يجده هناك فى العالم العلوى على درجة السلم التى لم يستطع الوصول اليها فى هذا العالم ، جالسا على ركبتيه حتى الموت .

كذلك كان قدره - وذلك ما وهبه حياته . حياته التى اكتملت الآن واصبحت قسما من الماضى ، بعدما فارقتة هى . عاش بها رغم ذلك طول الوقت ، وسمت بروحه فوق هذا الوجود المستمر الذى لا معنى له ولا هدف حرسنه وساعدته على التحمل .

استطاع أن يمشى وكأنه فى نشوة خلال هذه الجولات التى كان فيها وحيدا ، وأن يشعر برفعة وبانفعال يقودان تفكيره بعيدا عن الحاضر نحو عالم أسمى . وعندما يعود الى منزله خلال الطرق الضيقة يستطيع أن يهز نظره الى الأعلى فيرى السماء تتأجج حمرة بين المباني المعتمة ، السماء الليلية للمدينة الضخمة - لكنها ليست هى بالذات . كان كل شيء كالرؤيا كالفضاء المفتوح الدامسى .

ولى ذلك الشتاء الطويل الثقيل - أحس به كأنه أطول شتاء مر به فى حياته ، لكنه فى الحقيقة لم يكن كذلك ، بل كان قصيرا بالمقارنة مع الشتاء فى بلده . وبدأ الربيع يظهر . تلطفت الرطوبة فى الجو برياح عاصفة سريعة وبدأ الانسان يشعر بنفس هواء دافئ كلما خرج من طريق . كان الجو سريع التغير ، فالسحب تتفكك وتسرّع فى هبوبها ثم لا تلبث أن تتجمع من جديد ، وعند الليل تمطر لكن بعد أيام قبيل كل شيء . تلتف الهواء بصورة أخرى وحلت حرارة رطوبة مطهرة الربيع الذى حل .

كانت لهذه الحقبة الماضية التأثير البالغ فيه . لقد ظهرت عليه آثارها واضحة ، فأصبح وجهه معتما غائرا وطرفه حادا مشوشا . انتابه شيء من الكلال والارهاق . كان تعباً ضجرا .

لم يكن يرغب فى أى ربيع ، ولا فى أن تصبح الطبيعة من جديد جميلة . كان يعرف أن ذلك لا يعدو أن يجعل كل شيء أصعب بكثير . شعر بقلق مؤلم فى الضياء ، الاستيقاظ . لكنه لم يستطع أن يتجاهل شعوره براحة خفيفة فى هذا الهواء الجديد ، وبأنه أصبح يتنفس بسهولة أكثر . كان يجلس تحت الشمس فى حدائق كلينى الصغيرة أو لكسمبورغ المملوءة بالروائح وزقزقة العصافير . أينعت الأشجار بقوة حتى لوحظ ذلك يوما فيوما . والشارع أيضا أصبح مضيئا . خضرة خفيفة تغمر كل مكان كان كل شيء كان فى بيوت مكيفة ، كل شيء ينبثق فجأة فى الحرارة الرطبة . وائر المطر يبدو الشارع وكان البخار يرتفع من الغاز الساخن .

غمر المدينة كلها شيء لين وخفيف ، تلالؤ شاحب . أصبح فى استطاعة الانسان أن يرى عن بعد . بعيدا حتى جهات المدينة النائية التى تلاشت فى الضباب الخفيف . والحدائق المخضرة بعيدا جدا فى الجهة الأخرى من نهر السين . الانسان يتجول وكأنه فى بلد جديد .

كانت كل الاماكن مملوءة بالمتجولين . اما المقاهى ففارغة من مرتاديهما الذين جلسوا خارجها فى الشمس يتزاحمون حول المناضد . حكايات وضجيج . مشى فى الطرقات تحت الأشجار المتفرقة المضيفة التى لا تترك ظلا .

قصد مكانا خارج حانة حيث لا يوجد كثيرون . جلس ينظر الى الحركة . الى الذين يمرون حوله . لم تكن قبة قميصه نظيفة ولا قميصه عند الكمين . بدأ يهمل القيام بشؤونه دون أن يتفطن الى ذلك .

وعند حلول المساء ، النسيم العليل ، والبهجة الطويلة المتعبة التى تبدو كأنها انتشرت فى الجو نفسه . فى طريق السماء الشاحب ، أضيئت الأنوار خارج المقاهى قبل الغسق واختلطت الأنوار بضوء النهار . جلست بائعات الهوى حول المناضد يحسنين بعض الشراب وقد تركز سوقهن تبرز فى الطريق .

وبما أن الحرارة اشتدت فقد باتت الأمسيات الطف الأوقات وما على الانسان الا أن يمشى ويمشى فى هذا الربيع الدافئ الريان . فهو لا يستطيع أن يبقى بالداخل . الهواء نفسه له جاذبية خاصة تدعو الانسان الى الجولان دون هدف ولا نهاية ، وبعد نزول الليل تفيض الشوارع بالأنوار وتضئ الخضرة شغافة حول المصاييح . وأمام المقاهى العديدة كانت الزخارف بأوراق النبات مضاءة كما يحدث عند المشاهد الريفية الليلية .

جلس الى منضدة بعد اليوم الحار الطويل . كان القيقظ بدأ يعم وبدأ النهار يقلق بحرارته . كان لهذا الربيع فى المدينة الكبيرة شيء متعب بصورة خاصة . لكنه أحس أيضا بارهاق نفسه . ولعل ذلك هو السبب فى شعوره بالتعب . ولعل مشيه الطويل أيضا كان له دخل فى ذلك فقد مشى بدون انقطاع ، وكان يحس كأن عليه أن يستمر دائما فى المشى .



جلست احدى بائعات الهوى حول منضدة بالقرب منه . كانت تميل الى البدانة وقد بدا ذراعاها الطويلان مكشوفين تحت الشال الحريرى . ظهرت على وجهها الزينة والمساحيق البيضاء . وبرزت السجاعة من بين شفيتها الحمراءين النابتين شربت شيئا من عصير الرمان وكانت تمزمه مزا من قصبة .

كانت هناك موسيقى فى الداخل ، عزفت لجدران فارغة وقرنينين وحيدين جلسا بعيدا فى زاوية .

نقرت سيجارتها لتتخلص من رمادها ، ثم تناولت منها بعض مزاى اخرى وأطفأتها فى المنفضة . نظرت الى خلصة ، وأدخلت شرها تحت قبعتها . ثم وضعت ساقها على ركبته ومسحت كفها بتؤدة وقد التفتت عنه مفتعلة الشرود . كانت أظافرها حادة ومصقولة ، وعليها أهلة بيضاء كبيرة . أخذت سيجارة أخرى وأشعلتها ، أنزلت الشال من ناحية فبدا ذراعاها عاريين حتى الكتف . نهدت حلمة ثديها .

جاءت ثانية من بنات الرصيف وجلست بجانبها وأخرجت مساحيقها .  
كان قد أنهى شرايه وانصرف فى العتمة .

مشى مرة أخرى كالعادة رغم انه كان فى الحقيقة مرهقا جدا . مشى ومشى .

اشتدت الحرارة حتى قاربت الاختناق . كان قيضا دون نسمة متحركة ولا تلك البرودة الليلية المنعشة عادة .

أضيئت الشوارع وتقاطعت وامتدت من كل النواحي . بدت المدينة مفتحة كالزهرة . كبيرة ومملوءة بروائحها المغلقة الى حد يصعب معه عدم تفتحها . كادت تكون مخدرة .. مشى فى شبه غيبوبة .

كانت المدينة مزدحمة بالناس . مشوا أزواجا على الرصيف وقد انحنى كل على الآخر . وحول الأشجار كان النساء يلاطفن بكلمة « عزيزى » الدائمة . أما ضجة المنبه فى الطرقات فقد خمدت وبدت كأنها شيء غريب . بدت الحياة ناعسة بسكونها وبما كانت عليه .

شعر بارهاق شديد حتى كاد لا يقوى على فعل أى شىء آخر . ولج حانة وجلس حول منضدة كانت شاغرة . تناول مشروبا قويا فيه كثير من الجين (I) . بعض الكؤوس متتابعة لكى يتخمر . وفى الداخل كان المكان مترفا وفيه رقص ، نصف ممتلىء بالزبائن الذين وضعوا الشمبانيا على المناضد انبعثت أصوات السكسوفون والبانجو (2) حادة عندما رفع الستار المخلى ليظهر أناس دخلوا فى لباس أنيق .

قبعت بعض الخليعات على الكراسى العالية أمام مشرب الحانة . نظرن اليه فى المرأة ونفثن دخان سجائرهن وأبرزن شفاههن فخرج الدخان من بينها خيطا دقيقا . كن يتحدثن مع الساقى ويشربن شرابا رخيصا . جلسن على حافة الكراسى وقد وضعن أفخاذهن الواحد على الآخر . وبعد لحظات قدم نحوهن بعض الشبان . رفعت احدهن قبعتها عن رأسها واطلقت شعرها وصاحت تطلب ثلاث كؤوس من المنهاتن (3) بدأن يتخمرن .

وفى الداخل وراء الستار جلجلت الموسيقى . وعندما أزاح الخادم الستار استطاع أن يرى خيوطا ملتوية كالحيمة تسيح فى الهواء فدخل .

هناك مشى على زربية وأثيرة يكاد من يطؤها تقوص قدمه فيها ، لماعة فى الوسط وملسوءة بالراقصين . لقد غصت بالناس . ضحك وصياح . وعدد كبير من البالونات ، وخوار الأبواق المصنوعة من ورق . كل الناس يصيحون . الموسيقى تهز الجدران . كان المكان حارا معرقا .

رقص بعض مرات . وشرب شمبانيا من النوع الرخيص . كانت تملك أهذا با طويلة وعلبة مساحيق صغيرة وضعتها بجانب ركبتها . بدت خياشيمها رقيقة ومفتوحة كخياشيم حيوان عندما يباغت . وبدت لثتها عندما ضحكت خفيفة الاحمرار كخياشيم الأسماك ، وكانت كل الوقت تبدو ضاحكة .

(1) جين : نوع من المشروبات الكحولية .

(2) البانجو : آلة موسيقية شبيهة بالفيثارة من أصل جنوب أمريكى .

(3) منهاتن : كوكتيل من شراب الفرموت والويسكى وغيرها .

كان المكان حارا جدا ، والهواء سميكاً ، لم تسقط الحيوط الملتوية على الأرض بل مكثت تزحف كالحيات خلال الدخان ، وبدأ المكان مملوءاً بأقنعة متممجة . أخذت امرأة تنحب بجانب المنضدة القريبة منه . وكانت عينها جاحظتين متلاثلتين . دفعوها لحملها على السكوت . وكان غارزو الأركسترا السود يهتزون ويقفزون على الكراسي بينما جرى العرق على قباتهم . وبين الراقصين تسلفت امرأة شقراء ضاحجة حليقة الابط لها سمة (I) زرقاء على ظهرها . تلوث مع أنغام البانجو وأدخلت فخذيها بين ساقى مراقصها .

كان قد شرب أكثر مما اعتاد شربه . لكن الشمبانيا أبردته قليلا بعد تناوله مشروبات أخرى أشد تأثيرا . هب واقفا وانصرف .

جال في الشوارع . فقط جال وجال عدة ساعات . لم يكن يعرف أين وصل ولا أين كان . لكنه يتذكر أنه جلس على أريكة في مكان ما لمدة طويلة وعاد الى رشده عندما أحس بالبرد . كان يبرد الصباح شديدا لكن الليل ما زال حالكا . فثران سمينة تسلفت من فوق الرصيف الى داخل السياج المحيط بالقسم الأسفل من جذوع الأشجار . عربات جمع القمامة تصلصل في الشوارع الخالية . لاح بعض الضوء في قبو انبعثت منه رائحة خبز جديد . توقف قليلا وتنشق . وقف ونظر هناك في دھول الى رجل منشغل أمام القرن .

فتحت بعض الأماكن وبدأ أصحابها يكنسون النشارة المتسخة ببقايا السجائر وأعواد الكبريت . دخل مكانا ووقف أمام المشرب طالبا قهوة وقطعة من الخبز الجديد . هناك جلس السواق والعمال في سترات جلدية حول المناضد الطويلة . وأمام المشرب جلس بعض حثالة القوم وسجائرهم ملتصقة بشفاههم . جلست امرأة منهكة تتأمله وحلمتاعها بارزتان فوق ندييها . تكلمت بصوت أجش ، يشبه صوت رجل ، وبدأت لثتها عندما ابتسمت ابتسامة عريضة في لون الكبد وكأنها ملطخة ببعض الشيء . وعندما استمر في طريقه الى مقر سكناه كان النور قد بدأ يعم قليلا . مرت أمامه

---

(4) السمة : نقطة أوسمة من الحرير الدقيق الصقيل يتحلى بها النساء قصد التبرج .

امراة هزيلة قد فتحت معطفها وبدأت عجيزتها تميل من جهة لأخرى تبعا لخطواتها . ومن القطار التحترضى الذى بدأ يسير من جديد خرج البخار الخانق شبيهاً بأنفاس الحمى . خرج الناس من تحت الأرض ، وانصرفوا بسرعة ، أقدامهم تطرق حجارة الشوارع بشدة .

كان يكاد لا يستطيع أن يحافظ على نفسه مستقيماً . مشى فى شرود عميق مبهم . كان طرفه ساكناً منطفئاً ، فارغاً كل الفراغ وكذلك محروفاً . لقد بات انساناً آخر ، أو شيئاً آخر شيئاً مخالفاً له . مشى نحو النزل يجر قدميه .

\*\*\*

مضت أيام أخرى قبل أن يجلس ليكتب رسالة طويلة . بدأ هادئاً كل الهدوء . استعادت عيناه بريقها المعتاد . بل لعله بريق أبلغ من ذي قبل وأعمق . غمره سكون وجمال حيث جلس فى الغرفة البسيطة يجمع شتات أفكاره وينهى كتابة رسالته .

ARCHIVE

« أخى العزيز »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

اكتب اليك هذه الرسالة لسبب خاص سأحاول جهد ما أستطيع أن أوضح لك فى الأسطر الآتية . طبيعة علاقتك بى كأخ تجعلنى أرغب فى التوجه اليك وتمنحنى الحق بأن أفعل ذلك آملاً أن تفهمنى . لم يبق لى الآن أحد غيرك . لا أحد تربطنى به قرابة بشكل من الأشكال . لم تسمع عنى الكثير منذ قدومى الى باريس . والسبب فى ذلك هو اننى لم يكن لدى ما أقصه عليك غير ما كنت تعلمه دون حاجة الى ان اكتب لك حوله ، وهو أنسى أعيش فى هذا المكان يأسى اللامتناهى وحزنى عن الخسارة التى حلت بى لا شك أنك تعرف ماذا كانت زوجتى تعنى بالنسبة الى . لكن قد لا يخطر ببالك أنها كانت لى كل شىء . أنها عندما أخذت منى لم يبق لى أى شىء آخر بعدها ، لا شىء أوجد من أجله ، أعيش فيه - لا شىء ، وانها كانت حياتى .

شاركتها كل شىء . كل فكرة ، كل رغبة - فرحاً وترحاً ، كل شىء ، وكل يوم من الوقت الذى التقينا فيه الى المساء الذى غادرت فيه هذا العالم

وتركنتني في هذه الوحدة المخيفة . لا أعلم شيئا عن الحب غير ما أحسسته بنفسى لكنى أشك في أنه يمكن للقلب البشرى أن يحتمل تجربة حب أعقق ، وأكمل ، وأشمل . ان الحب كما عرفته شيء مقدس وسام جدا ولا يتصور كبره . نعم ، انه بالنسبة لى عجيبة كبرى سنح لى ان اكون طرفا فيها . وكل هذا كان من عندها . انه متعلق بشخصيتها الطاهرة ، بذكرى قيمتها لدى هى التى لم تعد الآن بجانبى .

عندما اجلس هنا ليلا واستعيد الذكرى أحس وكأنها هى التى أعطت وجودى معناه ، وهى التى رفعت من اللاشيء وملأته بأجمل وأثمن ما يمكن للحياة أن نهبنا . لا أدري ما اذا تفهمنى حينما أتكلم عن الحب بهذه الطريقة واعتقد انه يعنى الشيء الكثير . ومع ذلك فهو عندى كذلك . لقد كانت حياتك تختلف تماما عن حياتى .. نجحت وحققتم مشاريعك وكنت منشغلا بعدة أشياء مختلفة ، بينما كنت أعيش لشيء واحد لا غير . ولو لم أكن كذلك ما كنت لأملك شيئا أو لأفهم كنه أى شيء . ولعل هذا هو الذى يصعب عليك فهمه وربما يبدو لك نقصا . لكن حياتى كانت غنية ، غنى لا يمكن تصوره . لا أقول ذلك قصد مقارنتى تجربتى . بتجربة انسان آخر غيرى ولا أقصد التباين بطريقة أو بأخرى بل أقول بصراحة اننى أشعر بها كذلك . وكيف يمكننا أن نعرف أكثر من ذلك ؟ أى شيء آخر نستطيع أن نقيم الأشياء حسبه ، غير اقتناعنا الداخلى عندما نستعيد رؤية أنفسنا .

لعلك تدرك الآن بعدما ذكرت لك مقدار فقدانى ومصابى ، وكيف أصبح هذا العالم عندى خاليا تماما ومقفرا بعدما غادرت ، وأصبحت غريبا فيه منذ ذلك الحين . لم تعد لى فى الحقيقة حياة ، لا حياة حقيقية غير التى أعيشها بذكراها . فى ذكراها فقط أعيش وواجد ومن أجل ذكراها . انها تتلألا لى فى نور وهاج أحاول الأخذ به وانظر نحوه بشوق خفى كالرجل بلا مأوى يستطيع الوقوف ساعات طويلة تحت الأشجار وينظر الى انقراض منزله المفقود . حولى ظلام . هناك فقط ضياء .

أمل أن تفهم ، أرجوك أن تفعل ... افهم اننى اريد أن اذهب هناك حيث هى . اننى اريد أن أقاطع هذا العالم الذى لا أملك فيه شيئا وانصرف للقاءها هناك حيث تنتظرنى . نعم ، أعرف أنها تنتظرنى ، أنها توجد ، انها تحيا ! آخر كلماتنا لبعضنا كانت أن الموت يعنى القليل وأنه ليس شيئا حقيقيا

يحدث ، وانه لن يستطيع التفريق بيننا . لقد يخيل الى احيانا - كذلك -  
كاننى احس بقربها منى ، وانها تبعتنى وحرستنى ، نعم ، انها احيانا عندما  
ياخذنى الياس تمسح جبينى ببطء ... لكن الآن اريد ان اذهب هناك الى  
مستقر روحها الرائع حيث سنتحد الى الابد . لن يستطيع أى شيء هناك أن  
يبعدنا عن بعضنا .

أرجوك أن لا تحكم .. أن تغفو .. وأن لا تحزن لما سيحدث . ليس هناك  
موجب للحزن ، لا موجب أبدا له . لو أتيج لك أن ترانى حيث أجلس لقلت :  
لا شك أن هذا مخلوق سعيد . نعم ، اننى سعيد ولذلك أطلب منك أن لا  
ترثى لحالى وأن لا تحزن . اننى هيات نفسى لبدء حفل قريب .

سألقى الموت بنفس هدوئها . وأعرف انها ستكون سهلة على ، لأننى  
أتبع نداء قلبى وأفعل ما يريد منى . ولذلك فانا قد أحبيتها فوق كل شيء  
طيلة حياتى كلها . والموت فى سبيلها هو آخر ما تبقى لى من سعادة .  
سعادة كبيرة وهادئة ما زالت تريد أن تهبنى اياها .

اريد أن يعاد جثمانى الى بلدى وأن أدفن الى جانبها .

أطلب منك أنت أن تقوم بذلك وأنا على يقين من أن رغبتى هذه ستتحقق ،  
وأنك ستكون على استعداد لتلبية آخر رغبة لى .

أرجو أيضا أن تصنع هناك فوق قبرنا رخامة ، رخامة بسيطة يكتب عليها  
اسمانا ، وتحتهما تنقش الكلمات التالية : « ان الحياة جمعتهم الى الابد . »

وداعا .. وسامحنى .. أشكرك على كل شيء ..

أنت أيها الشخص الوحيد الذى أستحق أن أودعه ..

أشكر هذه الحياة على ما وهبت .. عليها ، على حبنى .. على كل هذه  
الاشياء التى سوف لن تموت ..

لا ، أعرف انها سوف لا يمكن أن تموت .

شكرا على كل شيء .. ووداعا .

### أخوك هلفان

أطبق الرسالة وكتب العنوان ، ثم هب واقفا .

وقف وتنفس بعمق .. أحس براحة . جال قليلا فى الغرفة .

هبط الدرج ببطء . لا أحد يرى فى مثل هذا الوقت عدا حارس العمارة الذى تمنى له أمنية سعيدة وأظهر دهشته من أحد يخرج فى هذه الساعة المتأخرة بعد منتصف الليل .

كان الهواء منعشا لكنه خانق بعض الشيء . اتجه نحو صندوق البريد اعتاد استعماله . روى رسالته بعدما مسكها قليلا فى زاوية عليا من الصندوق ثم انصرف بعيدا نحو نهر السين الى مكان من الرصيف حيث لا يوجد احد عادة فى مثل هذا الوقت . جلس على مقعد يقع فى الظلام .

بعدما تناول الجرعة مكث جالسا فى سكون وطرفه مشدود الى أعلى الى سماء قليلة الغيوم .. أراد أن ينظر هناك . تلالا عيناه بشعلة عميقة ومملوءة بالأسرار وبدا كأنه يتشمس .

أحس أن تأثير السم قد بدأ ، وأنه أخذ يخدره تماما مثلما اعتقد . استمع الى أجراس الساعة تدق .. الواحدة ، الواحدة والنصف ، وتقيس الزمن فى عالم بعيد وغريب .. فقد الحس . مال رأسه قليلا وأصبح لا حراك له لم يعد فى هذا الوجود .

مر كلب بالقرب منه وتشمم جواربه ، ثم رفع رجله وبال عليه . كانت هذه زيارتنا الى بلد الأرواح . ليس ذلك المكان شبيها بهذا . فللأرواح وجود فوق هذا الوجود ، وجود أسنى واكمل ينير علينا بضياءه انه بلد الروح أين يوجد مقرها الحقيقي وفى هذا البلد هناك أفراح دائمة ، حفل تنكرى .

انتهت

\*\*\*

### لمحة عن حياة بير لافركيست وأعماله

ولد هذا القصاص والشاعر والكاتب المسرحى سنة 1891 بقرية فسي جنوب السويد تدعى فكشو . وكان ينتمى لأسرة متدينة متوسطة تعتمد فى عيشها على الفلاحة .

تأثر فنه فى بادى الأمر بالمدرسة التكعيبية فى الرسم والتعبيرية فى الشعر . وقد تعرف على المدرسة التكعيبية فى ستكهولم سنة 1911 حينما أقيم لها معرض هناك أو فى ربيع 1931 عند زيارته الأولى لباريس . وكانت كتاباته التى تنتمى لهذه الفترة فى ميدانى القصة والشعر ومنها « الانسان »

(1912) و « حكاياتان عن الحياة » (1913) و « الحديد والناس » (1915) و « كرب » (1916) والمقالة النقدية « الفن اللفظي والفن التصويري » (1913) التي مجد فيها التكميلية . أحب في هذه المدرسة احساسها القوي بالأسلوب وفصاحته واهتمامها بالشكل أكثر من المضمون وإيمانها بوجود مبادئ مجردة للجمال . كل شيء في التكميلية خاضع لقوانين التركيب والتشكيل في حين أنها لا تترك مجالا للعواطف والمشاعر . وكان لافركفيسست يرى أن الفن اللفظي - يجب أن يبتعد عن التعليل النفسي وأن يهتم عوضا عن ذلك بالأسطورة واللغة الفصحى .

ولم يستمر فركفيسست على نفس النسق . فبعد سنوات قصيرة تخلى عن التكميلية لفائدة المدرسة التعبيرية التي أصبح من أشهر معتنقيها في السويد . وفي سنة 1917 عندما بدأ الكتابة للمسرح كان قد اتخذ هذه المدرسة مطية لفنه ، فكتب « آخر مخلوق » (1917) و « اللحظة الحرجة » (1918) و « سر السماء » (1919) وهذه كلها مسرحيات خاضعة للمبادئ التي فصلها في البيان الذي كتبه حول المسرح المعاصر والذي هاجم فيه إيسن - الكاتب المسرحي النرويجي - والمدرسة الواقعية رغم تأثره الشديد بسترندبيرري علم المدرسة الواقعية في السويد . كانت المدرسة الواقعية آنذاك قد أثرت في الآداب الأوروبية ما يزيد عن الجيل . ومن العناصر التي أخذها لافركفيسست عن سترندبيرري الصراع بين الحب والكره في نفس شخص واحد والجو المرعب واستعمال التمثيل الإيمائي والمبالغة وكثرة الرموز . ومن أعماله الأخرى في هذه الفترة « البسمة الدائمة » (1920) و « الصباح » (1920) و « طريق الرجل السعيد » (1921) .

وبدخول العشرية الثالثة من القرن العشرين اعتزل لافركفيسست المدرسة التعبيرية ليستعوض عنها بالواقعية الجديدة والعودة إلى المسرح الشرقي ومسرح القرون الوسطى في أوروبا . وكانت مسرحياته « الرجل الذي لا يرى » (1932) و « الرجل الذي عاش حياته ثانية » (1928) من أول وأشهر تجاربه في هذا المضمار . لكن بعض كتاباته الأخرى لا تعد أقل شأنا ، ومنها « حكايات مريضة » (1924) و « ضيف لدى الحقيقة » (1925) التي تعتبر قصة حياته عندما كان صبيا ، و « أغاني القلب » (1926) و « الحياة المغلوبة » (1927) و « روح مقاومة » (1930) و « الأرواح في حفل تنكري » (1930) .



وتمتاز كتاباته في هذه الفترة بالسوداوية والايمان بأن لا أمل للإنسان في الانتصار على قوى الشر في نفسه .

وبعد سنة 1930 بعدما كان قد نشر بعض شعره الثوري الذي تأثر فيه بالفلسفة المادية في عصره في صحيفة اشتراكية عاد لافركفيست الى الكتابات السياسية فكتب « الملك » (1932) و « الجلال » (1933) و « الرجل بلا روح » (1936) و « نصر في الظلام » (1939) وكانت كلها حول الشرور التي منيت بها أوروبا آنذاك بحلول النازية والفاشية . ومما كتب في هذه الفترة أيضا « في ذلك الزمن » (1935) و « الرجل المتحرر » (1939) و « غناء وصراع » (1940) و « حلم ليلة منتصف الصيف في ملجأ المعوزين » (1941) التي تفوق ما سبقها من حيث قوة الاسلوب .

وفي سنة 1940 انتخب لافركفيست عضوا دائما بالاكاديمية السويدية التي كانت - ولا تزال - تضم ثمانية عشر عضوا دائمين .

وبعد القضاء على النازية والفاشية لم يتغير لافركفيست بل استمر مفهوم الحياة عنده على أنها شرور وعلى أن الموت انتصار على الحياة . فكتب « القزم » (1944) و « دح الإنسان يعيش » (1949) و « برباس » (1950) القضية التي تحصل من أجلها الكاتب على جائزة نوبل في الآداب سنة 1951 والتي اقتبس فيها مسرحيته التي ظهرت سنة 1953 بنفس العنوان ، و « العرافة » (1956) و « موت أهسفيرس » (1960) و « الأرض المقدسة » (1964) . في هذه الفترة أصبح الفن عند لافركفيست يعوض الايمان ، اذ انه لم يؤمن رغم أن حاجته الى الايمان بقيت في نفسه تظهر بين الحين والآخر في فنه حادة ملحة حتى أنه وصف نفسه بأنه « مؤمن بلا ايمان ، ملحد متدين » . ومات سنة 1974 عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين وكان الى آخر لحظة مثل الكثير من معاصريه يبحث عن حقيقة ازلية لم يستطع أبدا أن يجدها أو ان يحدد كنهها .

---

(I) برباس هو الرجل الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب ظلما في مكانه وهو الجاني .